الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي – الأغواط–

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة الماستر

تقديم الطالبة: زينب صيافة

ميدان: اللغة و الأدب العربي

شعبة : أدب عربي قديم

تخصص: أدب عربي قديم

أدب الرحلات وسيلة الاتصال بين الشعوب والحضارات

" ابن فضلان وابن خلدون نموذجان"

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	*الدرجة العلمية*	*الصفة*
بولنوار سعد	أستاذ تعليم عالي	رئيـــســـا
بن شاعة جلول	أستاذ مساعد – أ–	مشرف و مقرر
مرزوق أبو بكر	أستاذ محاضر – أ–	مناقشـــا

السنة الجامعية: 1441/1440هـ –2019/2018م

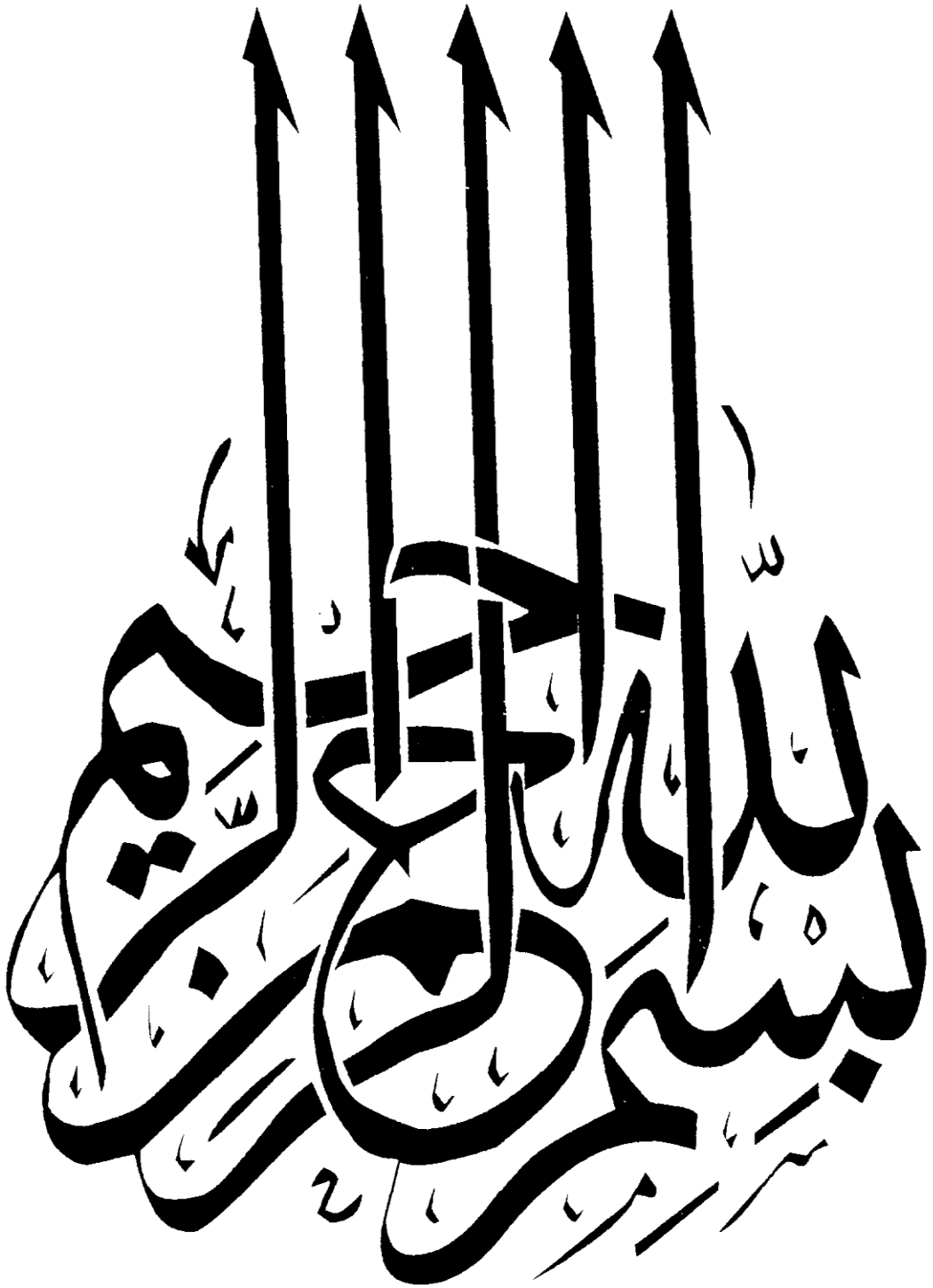
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

نحمد الله سبحانه وتعالى الذي قدرنا لإنجاز هذا العمل

جزيل العرفان والحب والفخر والشكر للوالدين الكريمين

جزيل الشكر الى كل أفراد أسرتي

نشكر كل من كان له يد في انجاز هذا العمل

من أساتذة وزملاء والموظفين في المكتبة

اهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين الكرمين

أسأل الله أن يحفظهماويرعاهما

إلى كل أفراد أسرتي

اللذين كانوا وراء إنجاز هذا العمل

إلى كل من كان له يد في إنجاز هذا العمل.

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أمّا بعد:

فإن أدب الرحلات يعد من أطراف الفنون النثرية في أدبنا العربي, لما يحمله من قيمة تاريخية وحضارية وأدبية, أهلته أن يكون مصدرا مهما للباحثين في مجال التاريخ والسياسي والثقافي والاجتماعي للعالم العربي الإسلامي.

تعد رحلة ابن خلدون من أهم الرحلات في تراثنا العربي في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية. إذ تشكل ثروة معرفية كبيرة, ومادة الاجتماعية وحضارية مشوقة ,مما يعطي رحلته سمة والقيمة الفنية, و لم يكن ابن خلدون سائحا يهوي السفر والاستكشاف بل كان مصورا بارعا يصور كل ما شهده بوصف دقيق.

تعتبر الرحلة من أهم الوسائل التي أرخت لتاريخ البشرية وفتحت عيونه على عوالم أخرى , وقد حرص الرحالة والعلماء المسلمين على تدوين مشاهداتهم وما لاقوه أثناء سفرهم فجاءت أعمالهم حافلة بالمعلومات التاريخية والحضارية لمختلف المناطق التي زاروها , كما لعب التراث العربي والجغرافي دورا هاما في التواصل بين الشعوب العالم قديما وحديثا. إذا كانت اللغة هي وسيلة للتواصل بين البشر فإن أدب الرحلات وسيلة للتواصل بين الشعوب والحضارات هذا ما أثبته الرحالة أثناء رحلاتهم التي قاموا بها. يعتبر ابن فضلان من أهم الرحالة الذين جابوا الأفاق والأوطان ورسموا ملامح تلك الشعوب بمختلف نواحيها الاجتماعية والاقتصادية. إذ تعد رسالته التي وصف فيها بلاد الروس والصقالبة والخزر من أهم مؤلفاته التي شهر بها وكانت مرجع للجغرافيين والباحثين ,كان موضوع أدب الرحلات من المواضيع التي لفتت نظر الباحثين والعلماء لذا خصصوا لها مراجع ومصادر كثيرة نذكر مرجعين هما أدب الرحلة في التراث العربي فؤاد قنديل الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري د/ ناصر عبد الرزاق الموافق, ولهذه الدراسة اتبعت المنهج الوصفي. أمّا سبب اختياري

للموضوع هو إبراز دور الرحلات في الاتصال بين الشعوب والحضارات.

- تعد الرحلة من أهم وسائل للتواصل بين الشعوب والحضارات ونقل ثقافات من منطقة إلى أخرى ومن هنا نطرح الإشكالية التالية :

-ما دور أدب الرحلات في الاتصال بين الشعوب والحضارات؟

-أو ما دور رحلة ابن فضلان وابن خلدون في الإ تصال بين الشعوب والحضارات؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بتقسيم البحث إلى مدخل وثلاث فصول :

ففي الفصل الأول تناوله أدب الرحلة, وأليات الكتابة في النص الرحلي ,الدراسة الفنية لأدب الرحلات وأمّا الفصل الثاني فتناولت فيه رحلة ابن فضلان ودورها في الاتصال بين الشعوب والحضارات نبذة عن ابن فضلان , رحلته, الحياة الاجتماعية الحياة الاقتصادية والسياسية أما الفصل الثالث: رحلة ابن خلدون ودورها في الاتصال بين الشعوب والحضارات نبذة عن ابن خلدون ورحلته المظاهر السياسية و الإ قتصادية والمظاهر الثقافية والخاتمة عبارة عن استنتاجات توصلت إليها.

أما الصعوبات التي واجهتنا هي ندرة وقلة المصادر والمراجع التي تدرس هذا الموضوع.

نشكر أستاذي بن شاعة جلول على نصائحه وإرشاداته التي قدمها لي.

مدخل

المدخل:

إشتهر العرب بكثرة التنقل والارتحال من مكان إلى أخر فظهرت عندهم أنواع مختلفة من الرحلات البرية والبحرية والجغرافية .و لم تكن الرحلات الجغرافية رحلات بعينها لكن هذا ما حدث فعلا, فإن القوم لم يعمدوا إلى الكتابة الجغرافيا بطريقة التنقل والرواية عن الاخرين ,بل كانوا يطوفون أنفسهم في العالم الإسلامي وغيره, ويقيدون مشاهداتهم وما يقع تحت أبصارهم. فأصبحت كتاباتهم الجغرافية في كثير من صورها رحلات بالمعنى الدقيق تصور أحوال النّاس والعمران أمّا الرحلات البحرية فنجدها ظهرت عند التجار والملاحين وتتضمن هذه المغامرات كثيرا من المعلومات عن البحار وحيواناتها.[1]

الرحلة في اللغة :

جاء في لسان العرب :"أن الرحيل والإرحال بمعنى الإشخاص والإرعاج ,يقال رحل الرجل إذا سار و ارحلته أنا ورجل رحول ,وقوم رحّل :أي يرتحلون كثيرا, ورجل رحّال :عالم بذلك مجيد له...والرحلة من الإبل البعير القوى على الأسفار والاحمال...وناقة رحيلة: أي شديدة قوية على السير "و ارتحل البعير رحلة :سار فمضى ,تّجرى عن المكان يرحل, وهو راحل من قوم رحلّوا التّرحّل و الارتحال: الانتقال ,وهو :الرّحلة والرّحلة, والرحلة اسم الارتحال للمسير, والرحلة مترلة يرتحل منها ,وما بين مترلتين مرحلة.[2]

الرحلة في الإصطلاح:

عرّف الإمام الغزالي السفر-والرحلة-بأنهما:"نوع حركة ومخالطة ",أو نوع مخالطة مع زيادة تعب

[1] شوقي ضيف,الرحلات, المعارف,ط4,1956م,ص6

[2] ناصر عبد الرزاق الموافى,الرحلة في الأدب العربي(حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ,كلية الأداب,ط1,قاعرة-مصر,1415ه-1995م,ص23

ومشقة, وأوضح أن الفوائدالباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب,وأن لإنسان لا يسافر إلاّفي غرض ,والغرض هو الحركة.وعرفها بطرس البستاني بأنّها :انتقال واحد –أو جماعة–لمقاصد من مكان إلى مكان أخر مختلفة ,وأسباب متعددة.[1]

وتقدم د/صلاح الدين الشامي خطوات حين عدها إنجازا أو فعلا فرديا أو جماعيا لّما يعينه اختراق حاجز المسافة, وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الأخر ,وتأتيها الانجاز من أجل هدف معين ,ويجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان وحركة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر.[2]

مما سبق أن الرحلة حركة وقد تكون بهدف يتحقق أولا و كذلك أنّ الرحلة لها غاية يسمو إليها الرحالة عندما يفكر في الانتقال من مكان إلى آخر.

مسيرة الرحلة:

برزت الرحلة في القرن الثاني الهجري عندما كانت الفتوحات الاسلامية خاصة عندما حققت نجاحات سياسية بارزة فظهرت الترجمة التي ساهمت في كشف عن كثيرا من الشعوب التي سبقت العرب وقطعت أشواطا لاكتشاف المجهول من الأرض ,فتحمس الكثيرون للسفر سواء للحج أو لطلب العلم والتجارة وفي الاطار الرسمي للدولة ,وأمّا القرن الثالث الهجري (ق9م)كان معظم رحالة جغرافي النصف الأول من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي من اللغويين, وأبرزهم هو اللغوي والمؤرخ المعروف هشام الكلبي تحوالي206م)وقد صنف عديدا من المؤلفات منها (كتاب الأقاليم)ثّميأـــي القرن الرابع الهجري(ق 10م) الذي ازدهرت فيه الحضارة العربية فظهرت المعاجم وخرائط وازداد عدد الرحالة ,ووصلوا إلى أفاق بعيدة , كما شهد هذا العصر ظهور رحال كبار من أهمهم المسعودي (ت346) صاحب مروج الذهب ومعادن)[3].

[1] الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري,ص26

[2] مرجع نفسه,ص27

[3] فؤاد قنديل ,أدب الرحلة في التراث العربي ,العربية للكتا ب ,ط 1, 1423ه -2002م,ص72

ثمّ يأتي بعده القرن الخامس الهجري ق11م)تفتح هذا القرن رحلات مهمة قام بها الطبي البغدادي ابن بطلان عام 404ه)إلى الشام ومصر وأنطاكية و القسطنطنية ثمّ يأتي بعده كتاب البيروني ت440) .أمّا القرن السادس الهجري ق12م) يبدأ هذا القرن رحلاته بخروج رحالة جسور هو أبو حامدالغرناطي الأندلسي عام 508ه)ومن مصنفاته (تحفة الألباب ونخبة الأعجاب)والمغرب عن بعض عجائب المغرب)وغيرهم من رحالة الذين اشتهروا فيه هذا القرن .أمّا القرن السابع الهجري (ق13ه)تميز هذا العصر بظهور عديد من مؤلفات التي دونها الرحالة أثناء رحلاتهم فنجد (معجم البلدان للياقوت الحموي)وكذلك (كتاب صغير لعبد اللطيف البغدادي الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) , كما ظهر كذلك الرحالة يوسف ابن يعقوب الدمشقي المشهور بابن المجاور ومن مصنفاته (تاريخ المتبصر), أمّا عندما ننتقل من الشرق إلى الغرب يصادفنا الرّحالة الأندلسي ابن سعيد بكتابه (المشرق في حلى المشرق) وغيره من رحالة في هذا القرن. ثمّ يأتي القرن الثامن الهجري(ق14م) ظهرت عدة مصنفات بالغة أهمية في هذا العصر, ومن بين الدمشقي وكذلك كتاب(تحفة النظائر في غرائب الامصار و عجائب الاسفار) لابن بطوطة كما برز ابن خلدون بكتابه(التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا) وغيرهم من رحالة والكتب التي ظهرت خلال هذا العصر.[1]

كذلك كان للرحلات قيمة ثقافية تبرز من خلالها ثقافات الشعوب الاخرى كما نجد أن الرحلات قيمة تعلمية من حيث أنّها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان واثراء فكره وتأملاته للنفسة والاخرين . كما ساعدت على اكتشاف العديد من المناطق الجغرافية المتواجدة في أنحاء العالم العربي وغير عربي وفي هذا صدد يقول أحد الكتاب الفرنسين : إنّ الرّحلات تشكل أكثر المدارس تثقيفا للإنسان صحح أن كل رحلة قد حققت الهدف لحساب الانسان ونبض الحياة المستمر على الأرض .[2]

وصحيح أيضا أن الانسان الذي كرس اجتهاد للإنجاز الرحلة لم لن يفرط أبدا في جني ثمرات الرحلة

[1] الرحلة في التراث العربي,ص78

[2] حسين محمد فهيم ,أدب الرحلات, المجلس الوطني للثقافة والفنونوالاداب,الكوت,1923-1978م,ص17

والانتفاع بها , ولكن الصحيح بعد ذلك كله أن الرحلة قد رسخت كل العوامل والمفاهيم التي بنيت عليها مسألة وحدة البشر على الأرض بل لقد فجرت في الإنسان استشعارا المصالح المشتركة التي وثقت عرى هذه الوحدة على الأ رض.[1]

كما نجد الرحلة تضمنت عناصر الأدبية وذلك من خلال أسلوبها وهذا ما أشار إليه الكاتب حسيني حسين:(قد لا ترتقي إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة, أو الشعر, أو المسرحية, أو المقالة الأدبية مثلا, إلا أنّ في أدب الرحلات تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها كلّها دون أن تضبطه معايير, أو أن يخضع لمقاييسها.[2]

لقد عرف العرب الأوائل السفر ,ومارسوا الترحال منذ القدم في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها ,وقاموا برحلتي الشتاء والصيف اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم ,أبحرت سفنهم المحيطات شرقا وغربا, عندما جاء الاسلام وسّع بدوره أفاق الرحلات العربية ,وعدد دوافعها ,حتى بلغت ذروتها وعلا شأنها ,ووصلت إلى ما وصلت إليه ,وبخاصة خلال الفتوحات الاسلامية ,ما تلاها من عصور الإنفتاح والاستقرار ,حتى القرن الثالث الهجري , ولكن لم يستمر ذلك الازدهار طويلا, بل بدأت معالم التدهور تصيب كل المجالات الحياة بما ذلك الرحلات ,واستمر حال الضعف إلى العصر الحديث الذي حرك بدوره بعض الأقلام التي حاولت النهوض بأدب الرحلات من جديد.[3]

وفي الأخير نجد أنّ أدب الرّحلة...في بدء الأمر ومنتهاه...هو محاولة لاكتشاف سر الأشياء...والتعرف على تكوينها الذي يبدو أحيانا ككتل الجليد العائمة في المحيطات و البحار , لا يهر منها سوى العشر, لا تبقى الأعشار الأخرى مغيبة تحت الماء.[4]

---

[1] أدب الرحلات ,ص18

[2] مرجع نفسه , ص13

[3] علي مفتاح راشد الهندي,أدب الرحلات ابن جبير الرحالة الأديب,ص5

[4] عماد الدين خليل, من أدب الرحلات, ابن كثير,1426ه-2005م,ص6

الفصل الأول:

أدب الرحلات

المبحث الأول: تعريف بأدب الرحلات:

-مفهوم أدب الرحلات:

-تعددت التعريفات لأدب الرحلة اذ نجد أراء واجتهادات مختلفة تبحث عن مفهوم أدب الرحلة ومن هذه المفاهيم:

ما ورد في معجم المصطلحات الأدبية((أن أدب الرحلة هو مجموعة الأثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة ,وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق , ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها , أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في أن واحد وعند / انجيل بطرس((أن أدب الرحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلات الواقعية , وهي الرحلة التي يقوم بها رحال الى بلد من بلاد العالم , ويدون وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة و الصدق وجمال الأسلوب[1]

الرحلة هي الارتحال من مكان الى مكان ,ومن حالة الى حالة ,فعل سبق كل الأفعال ,وسمة سبقت كل السّمات, وتحولت الى حلم وشوق تتطلع اليه كل نفس, يحوم في أعماق الكثير من المخلوقات.[2]

كما نجد تعريفا للرحلة اذ يقول:

والرحلة حركة...والحركة ولحياة, وقد هياء الله لها جيناتها وخلاياها فيما خلق, وصمم لها التشكيل الجسدي والنفسي والعقلي والحسيّ ,كأدوات لازمة لتعمير الأرض بالحركة, وبث الحياة عليها بالعمل والتنقل ليكون الأنسان من صنّاع الحياة وعمّارة الكون.[3]

يتضح أن الرحلة اصل الكون وسمة من سما ته الأساسية, فقد خلق الله وأبدع ما تحار فيه العقول

---

[1] ينظر الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ص28

[2] محمد بن مسعود بن عبد الله 1428ه-2007موسوعة الرحلات دوائر المعارف القاهرة-مصرص4

[3] مرجع نفسه, ص5

وهذا ما دفع بالإنسان الى التنقل والارتحال من مكان الى أخر لكشف أسرار هذا الكون الفسيح , قد هياء الله الانسان وحثه على الارتحال أو السفر فهو قائل عز وجل في محكم تتزيل {{فاذا سويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد الله }المؤمنون (28).

1. أنواع الرحلات

ظهر اختلاف بين الباحثين المعاصرين حول تصنيف الرحلات فلكل واحد وجهة نظره ففريق اتبع النهج التاريخ وفريق خلط بين المنهجين التاريخي والجغرافي, وفريق استنطق النصوص وفريق ذهب يعدد ما هو ممكن لاما هو واقع بالفعل.

قسم الدكتور أحمد رمضان الرحالة_ لا الرحلة الى: رحالة الجغرافيين ,ورحالة مشارقة, ورحالة مغاربة, والخلط في المنهج الواضح. الدكتور((شوقي ضيف))صنف الرحلات الى: رحلات جغرافية ,ورحلات بحرية, ورحلات في الامم والبلدان.[1]

أما الدكتور "حسين فوزي" فقد ميز بين فرق أربع وصفت البلدان:

فريق جمع معارف غيرهم معاصري قدماء, كالبيروني ,والادريسي .فريق عنى بحكم_ مقره أو وظيفته_ بتدوين ما سمعه من الرحالين التجار , وما تحويه اضابير ديوانه من معارف , أمثال: ابن خرادذابه, والجيلاني.

فريق سافر إلى بعض الأصقاع, ولكنه لم يكتف بمشاهداته الشخصية بل راح يضيف إليها ما طالعه في كتب غيره, أو سمعه في حله وترحاله من أفواه السفار وهواة المعارف الجغرافية ومن هؤلاء المسعودي والبيروني.[2]

يقسم الدكتور محمد الفاسي في مقدمة تحقيقه" لكتاب الاكسير في فكاك الأسير" الرحلات إلى

[1] الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري,ص31

[2] مرجع نفسه, ص32

خمسة عشر نوعا هي:

الرحلات الحجازية_ الرحلات السياحية _الرحلات الرسمية _الرحلات الدراسية_ الرحلات الإثرية_ الرحلات الإستكشافية_ الرحلات الزيارية_ الرحلات السياسية_ الرحلات العلمية_ الرحلات المقامية_ الرحلات البلدانية_ الرحلات الخيالية _الرحلات الفرسية_ الرحلات العامة_ الرحلات السفارية.[1]

وأقرب هذه التصانيف للواقع, تصنيف الدكتور صلاح الدين الشامي في كتابه: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة والإسلام والفكر الجغرافي , إذ يقسم الرحلة إلى ستة أنواع, منها ثلاثة كانت قبل الإسلام وهي: رحلة الحج_ رحلة الحرب _رحلة السفارة. وثلاثة أخرى أضافها الإسلام وهي: **رحلة الحج**_ رحلة طلب العلم_ رحلة التجوال والطواف.[2]

-ومن خلال ما تقدم يمكن أن نعتبر انه يوجد أربعة أنواع من الرحلات العربية وهي الرحلة

الرسمية و الرحلة التجار والعجائب والرحلة الدينية وقد يتنازع نوعان رحلة بعينها , وهنا يتيح إدراجها في النوع الذي يغلب عليها ,وقد تخرج بعض الرحلات عن هذا التصنيف , بيد نخرجها سيكون شذوذا

2. أغراض الرحلة:

تتعدد الدوافع التي تحمس الانسان للرحلات , وتختلف من شخص الى اخر , من قوم لقوم ومن عهد الى عهد, الاّ انّها في الاغلب لا تخرج عن أي ان تكون :

دوافع دينية:

كان يرتحل للحج الى الاماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمان وتوبة , وتطهيرا للنفس من دنس الذنوب ,

[1] ينظر الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري,ص33

[2] مرجع نفسه ,ص34

وعهدا للسير على الصراط المستقيم واملا في المغفرة , ومن قبيل ذلك التبشير بالدين او زيارة المقابر.[1]

دوافع علمية أو تعليمية :

بغرض الإستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم , ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة و العمارة وغيرها , وتذكر كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به , كذلك الرحلات البحوث العلمي والكشوف الجغرافية.[2]

دوافع سياحية وثقافية :

تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته , وحب التنقل وتغير الأجواء والمناظر , وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة.

دوافع إقتصادية :

للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية , أو لجلب السلع تتوافر في بلاد أخر وتندرج في بلد المسافر , وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة.[3]

دوافع صحية :

كالسفر للعلاج أو الإستشفاء , أو إراحة النفس من ألوان العناء و تخليصها من الكدر .[4]

الضرورة:

قد يتعرض الإنسان لعارض يدفعه لمغادرة وطنه بحثا عن الكلأ والماء وهربا من مصيبة أو يائسا من

---

[1] الأدب الرحلة في التراث العربي ,ص19

[2] مرجع نفسه,ص20

[3] مرجع نفسه,ص21

[4] ينظر نوال عبد الرحمن شوابكة, ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري,المامون,عمان,ط1,1428ه-2007م,ص22

المجتمع أو ماحل به من حروب ونكبات وويلات الحرب.

السفارة:

هي رحلات رّسميّة يوكل بها الرّ حّالة من قبل الحكام ورسالة يتنافس في أدائها من يكلّفون بها , ولها دور هام في التواصل بين الدول العالم.[1]

العامل الشخصي :

ربّما يرتبط هذا العامل بالعامل الدينيّ , فقد إزداد تدفق الرّحّالة إلى بيت المقدس , يعبّرون عن مشاعر التأييد للصلاح الدين الأيوبيّ , ويهنونه بتحرير بيت المقدس من الأمة الضّالة .

-نلاحظ مما سبق تنوع الدوافع والأسباب التي أدت بالعربي للترحال من مكان إلى أخر فتارة للبحث عن الكلاء الماء , وتارة للبحث عن العلم والمعرفة إلاّ أن جميع الرحلات تتفق أو تجتمع على دافع واحد وهو زيارة البيت الحرام لأداء فريضة الحج.

3. أهمية الرحلات :

للرحلات أهمية بالغة فهي تتعرض لجميع نواحي الحياة أو تكاد , إذ تتوفر على مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافيّ , فالرحلات منابع ثروة لجميع العلوم التي يحتاجها العالم فالرحالة من خلال رحلاتهم يصفون كل ما يشاهدونه بدقة ومصداقية , فنجد للرحلات قيمتان عظيمتان هما : القيمة العلمية وأخرى أدبية, وبهذا صدد يقول حسين محمود حسين :((إنّ نمط الرّحلات يتعرّض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد , أنّ تتوفّر فيه مادة وفيرة ممّا يهمّ المؤرخ والجغرافيّ وعلماء الإجتماع والإقتصاد ومؤرخيّ الآداب والأديان والأساطير .))[2]

أمّا القيمة العلمية , فقد تأتت لها مما تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف التي يدونها

[1] ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري,ص41

[2] مرجع نفسه,ص53

الرحالة تدوين المعاين من خلال رحلته, ليستفيد منها المؤرخ والجغرافي وغيرهم كل حسب تخصصه [1].

أمّا القيمة الأدبية فتظهر فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب , وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني وما يتسم أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي المعتمد على القصصي المشوق , وبهذا الصدد يقول الدكتور شوقي ضيف إلى((إعتبار أدب الرحلة عند العرب :خير رد على التهمة التي طالما أتهم بها الأدب العربي , تهمة قصوره في فن القصة.))[2]

[1] ينظر حسني محمود حسين, أدب الرحلة عند العرب,الاندلس,ط2,1403ه-1983م,بيروت-لبنان,ص,6

[2] مرجع نفسه, ص9

المبحث الثاني : أليات الكتابة في النص الرحلي :

أولا: عتبات النص الرحلي :

يستلهم النص الرحلي عتباته بتقاطعه مع نصوص الأخرى , إذ يتقاطع مع شكلين في أن الواحد فيكون التقاطع الأول مع النص السردي أمّا الثاني مع كتب التاريخ و الجغرافيا وبهذا تبرز مسألة تاريخ الرحلة بين قطبي الإنتماء للتخييل وللقاعدة المرجعية الواقعية , بإعتبار أن النص الموازي عتبة لفهم أليات أخرى في كتابة كما يحدد ذلك المقريزي وهو بتحدث عن الرؤوس الثمانية الضرورية لكل كتابة (إعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن باتوا بالرؤوس الثمانية قبل إفتتاح كل كتاب وهي الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أي صناعة وهو كم فيه من إجراء و أي إنحاء التعاليم المستعملة فيهان عتبات النص الرحلي كونها مفاتيح وعلامات فهي كذلك جمل سردية متعلقة أساسا بالبنية الدلالية للمتن تؤسس لمعانيه وتبحث فيها , وهي مرايا ثلاث متجاورة توجه المتلقي وتقوده إلى خيالات الواقع.[1]

العنوان في السرد:

يندرج العنوان في النص الرحلي ضمن عناوين السرود القديمة , فكل دراسة للمتن الرحلي أو غيره لابد أن تنطبق من العنوان , لما له من أولوية على كافة العناصر المكونة الأخرى , وبإعتباره العتبة الأولى التي تحاور المتلقي وتشير إلى جنس المؤلف كما تختزن مقصديه المؤلف ونواياه ثمّ وعيه الأجناس.[2]

-ومن خلال هذا يتضح أن للعنوان أهمية بالغة في السرد الرحلي لما يحمله من دلالات لغوية تجسد النص ودلالاته ودلالات النفسية تجسد المؤلف ومقاصده . وهناك أنواع من العناوين منها عناوين بإسم الرحالة وبإسم الرحلة ومن خلال العنوان يمكن معرفة محتوى النص أكان شعرا أونثرا ...كما

[1] ينظر شعيب حليفي ,الرحلة في الادب العربي التجنس, اليات الكتابة ,خطاب المتخيل, الهيئة العامة لقصور الثقافة,2002م,ص157

[2] مرجع نفسه ,ص61

نجد أن معظم الكتابات الرحالة لا تخلو من عنوان .

خطاب التقديم وتأطير النص :

مقدمة والنص:

وقد أعتبر التقديم في النصوص الرحلية ضرورة واجبة أكثر في إشكال أخرى , نظرا لطبيعة النص الذي يحتاج إلى تقديم بعض المعلومات والإيضاحات حول الرحلة وأحيانا لتبريرات معينة , يتشكل من عناصر تتوجه إلى المتلقي لتهيئه سواء بتمهيد أو مقدمة تخبره بجوهر المؤلف وظروف تحريره ومراحل تكونه هناك ثلاث بالنص الرحلي _ مقدمات تقدم ملخصا للرحلة _ مقدمات تبسط لموضوعها بالبسملة. [1]

تمظهورات الوعي بالكتابة الرحلية:

إنّها مسالة المضمرة: عقيد, مرتبطة بالوعي النقدي للمؤلف , ولكن الواضح أن أجل تستلهم أهم مكونات الرحلة بوعي أو بدون وعي , وهو إستثناء في الأشكال التعبير , لأن الرحلة هي مفهوم يجد تحققه في الواقع أي أن الرحلة توجد نسبيا ولو بدون تدوين . من هذه الزاوية فإنّ مسالة إدراك الجنس الذي يكتب فيه النص أمر بديهي, لأنّ المؤلف يلجأ إلى التدوين رحلة قام بها, حيث تبدأ معظم الكتب الإسلامية بالبسملة و الحمدلة .[2]

هوية الخطاب المضمرة:

يتشكل هوية الخطاب المقدماتي من ثلاث مستويات مضمرة يرى هنري متران في دراسته للخطاب المقدماتي "إنّها تترابط في حلقة واحدة ." سوف تأتي هذه المستويات كالتالي:

المستوى الأول: بنية المضمرة :

[1] الرحلة في الادب العربي التجنس اليات الكتابة الخطاب المتخيل,ص176

[2] ينظر مرجع نفسه ص178

ترسم بنية الضمائر في الخطاب المقدماتي الرحلي مرآة اولية لفهم طبيعة اشتغال في النص.

المستوى الثاني : بنية الزمن :

يأتي الخطاب المقدماتي , وهو أخر ما يكتب , فيجمع هذه الأزمنة الثلاثة في زمن واحد هو الماضي الذي يحتوي ثلاث طبقات زمنية متداخلة تشكل طرسا مراويا تقرا فيه ومن خلاله كل الأزمنة و الأفعال[1].

المستوى الثالث : الإشاريات , مسار الرغبة :

فالإشارات لا تتحدد في الخطاب المقدماتي الآّحين يتم عرض أسباب السفر , وتقديم تلخيص عن الرحلة , وهو يظهر الجينات الأولية لرؤية حاملة لذات المؤلف ستخصب داخل النص بشكل أكثر وضوحا.[2]

-لابد أن يكون لكل نص خطاب تقديم خاص به , فللنص الرحلي إطار تأطير يقوم عليه فلا نجد نص يخلو من مقدمة أو تمهيد للموضوع فهو يقدم ملخصا عن المضمون (النص) كما يتناول المؤلف ومنهجه ومقصده من كتابة رحلته , كما يعد من أهم العناصر المؤسس لبناء النص لأنه يطرح إشكاليات والتساؤلات عن النص الرحلي كما أن عناصره تكون جانب الكتابة قد يكون قبل التدوين أو بعد التدوين.

البداية والمشهد الجذري:

البداية في السرد:

حدث القدامى عن براعة الإستهلال وضروريته في النصوص الأدبية إذ لا نجد نص بدون بداية أو

[1] ينظر الرحلة في الأدب العربي التجنس أليات الكتابة خطاب المتخيل,ص185

[2] ينظرمرجع نفسه ص 190

تمهيد فهو يعطي إنطباع أولي عن النص تشد القارئ وتجذبه في هذا صدد يقول أحدهم : أمّا النص الرحلي فإنّه لا يشذ عن القاعدة , بخصوص صياغته , لأنّ كل بداية نصية تختلف بلاغيا عن بدايات أخرى. كما حاول الدكتور لو نكو حل هذا الإشكال عن طريق إقتراح نقط تحديدية فكل هذه التحديدات تصب في تحذير الباحث حتى يأخذ بالجملة الدالة ذات السياق المرتبط بباقي الجمل . لأنّ دور البداية هو البحث عن إفتتاح السرد , وعقد ميثاق القراءة مع المتلقي.[1]

دينامية البداية :

إنّ البدايات النص الرحلي لا تتقصد الإشارة , أو تجنح نحو الغموض , إّما ترنو إلى الوضوح لأداء فوظيفة دلالية عادية[2].

الوظائف :

بداية النص الرحلي عنصر لكرو نو لو جية الحكي في الإطار البناء العام , فقد قدمت الدكتورة لو نكو في بحثها أربعة مقترحات تلخص وظائف البداية , صاغتها وفق نصوص حديثة , وهي معطيات بإمكانها أنّ تنحسم مع أي نص سردي وهي كالتالي : الوظيفة السنية ,والوظيفة الإغرائية, والوظيفة الإخبارية والوظيفة الدرامية.[3]

-ومن خلال ما تقدم يمكن القول أنّ النص الرحلي لا يختلف عن باقي النصوص السرديه , فهو كذلك يعتمد على إطار يؤطره ويقوم عليه ويطرح فيه معظم القضايا المتعلقة بالنص و المؤلف ,وهو بمثابة مرآة ينظر القارئ من خلالها إلى خفايا النص.

ثانيا : السرد وبنية الجملة :

لا يختلف السرد الرحلي عن باقي السرود بإعتباره مجموعة المتواليات الجملة المؤسسة ليتيمات وظائف

[1] ينظرالرحلة في الأدب العربي التجنس اليات الكتابة خطاب المتخيل ص192

[2] مرجع نفسه ص197

[3] مرجع نفسه ص 199

و أهداف لضمان التواصل مع الجنس الذي يكتب فيه وهو مرتبط بوتيرتين للحركة سردية العبور والوصول اللتان تمثلان إنطلاق الرحلة ونهايتها وهما عبارتان عن جسر تمر عبره أحداث و وقائع الرحلة مرتبطتان بالزمن.[1]

و الرحلة بوصفها عملا سرديا تتأسس على ثنائية متن/خطاب , فانّ الراوي المؤلف يقوم بتحويل المتن الى خطاب سردي تنتجه الفاظ اللغة ,فيستعمل اسلوبا مخصوصا في هذه العملية التحويلية...))[2]

مميزات و أنماط الجملة السردية في الرحلة:

إن الجملة السردية في النص الرحلي خطاب بؤري , ومحرك للأحداث رغم قصر الجملة و كشوفاتها , فهي مستقلة بالأوصاف وتتالي الأحداث , لكن أهم ما يميزها هو تشكلها من أربعة عناصر :خام ,والسند ,الفعل والمرجع .[3]

الإستراتيجية السردية :

أنواع السرود:

تتحقق السرود في الرحلة من خلال تشكل متلونة تبحث عن إنسجام للتواصل , ذلك أن البنية العامة المجسدة في النوع المنتحين ترسم شكل تأثيرها على بنية السرود , بحيث يصبح كل نص رحلي بناء تركيبا تتفاعل بداخله بنيتان أساسيتان: سرود كبرى وأخرى صغرى .[4]

العناصر والأسس:

النص رحلي هو نسق سرود متراكبة ومتلاحمة تفضي إلى بناء ذي دلالات متجنس ضمن قواعد الرحلة بشكل خاص , وفي إطار النثر الفني يشكل عام . لكن تحقق البناء السردي وهو يخضع لقوانين

[1] ينظر الرحلة في الادب العربي التجنس اليات الكتابة خطاب المتخيل ص 213

[2] جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي دورة ثامنة,2018,ص12 ينظر عبد العليم محمد اسماعيل علي, اساس ادبية الرحلة,

[3] ينظر مرجع سبق ذكره شعيب حليفي ص218

[4] ينظرمرجع نفسه ص242

الجنس و الكتابة يسعى إلى ترسيم مكونات وعناصره مهيمنة ذات حضور جذري في توجه السرود ووسمه . تحضر خمسة عناصر و أسس و تتمات متواترة بأشكال متفاوتة في هذا البناء وهي : السفر ,و العبور والمعرفة ,و المعرفة ,والدائرة ,و المتعة .[1]

-نتبين مما سبق أن السرد يتأسس على صنع مركزية و مجموعة سمات التي تجعل من العمل بأنّه عمل سردي , وإن أدب الرحلة لا يتحقق الاّ بوجود هذه العناصر التي تساعد الرحالة على إخراج عمله بصورة تسمح بوصفه عملا أدبيا خالصا, لأنه توجد كتابات لم تصل إلى مرتبة الأدب بعد لأنها تعتبر تقريرات وثائقية.

البناء و الخصوصية:

ينهض النص الرحلي على عناصر تشيد معماره الفني وتصقل خطابه من أثار الشفوي وبصمات التجربة ومسافة إدراكها وإدراك التقطعات المتنوعة التي إكسبت النص تلوينات شتى تحولت وإنتقلت ساخنة إلى دفء المكتوب وسط أشكال غنية . سوف نتطرق إلى هذه العناصر كتالي:

الصورة :

يخضع تشكل الصورة لإعتبارات تجعل منها نصا تخيليالإمتزاجها بالذاتي والخيالي والمراغم, وخضوعها لأسلوب المؤلف ونواياه وتداولاته , ثمّ لأشكال التلقيات , الصورة , كماهي في نص الرحلي , بالمعنى الأسلوبي غير العام تعبيرية تسرد التجربة وتكثفها ضمن مشهد لغوي تتضافر لأجله البلاغة و الصيغ الأخرى أو بتعبير ري فيردي لا يمكن أن تولد الصورة من المقاربة , وإنما من واقعين متباعدي.[2]

الراوي في الرحلة :

يختلف الراوي في الرحلة عن الراوي في السرود الحكائية الكلاسيكية , حيث هو ناقل لتراثه وتجاربه

[1] ينظر الرحلة في الادب العربي التجنس اليات الكتابة الخطاب المتخيل ص245

[2] ينظر مرجع نفسه ص263

الجماعة , ينقل هذا إلى مستمع وقارئ بوصفه مشاركا أساسيا في عملية القص[1]. وفي نظر البنيويين أمثال رولان بارت فالراوي كائن ورقي يبتكر الكاتب.[2] أمّاالراوي في أدب الرحلة فهو شخص واقعي من لحم ودم يروي حكاية بضمير الأنا. في معظم الرحلات أوـ النحنـفي بعضها , وقد يكون سارد خطاب الرحلة هو الرحالة نفسه وقد يرويها شخص أخر .[3]

-يظل الراوي هو بطل ومحرك للفعل الرحلي و الحكائي فكل النصوص السردية فهو يؤدي وظيفة مهمة في بناء الخطاب السردي وترابط بين أحداث الحكاية كما يعمل على تنظيم الحكي وتخليق التوازن بين الأنا و الأخر كما يقوم بالربط بين الخطابات وتنضيدها.

الأخر :

لقد إستطاع الرّحالة تقديم صورا عن الأخر تساعد الأجيال على معرفة تراث وقيم أخلاقية وإجتماعية لمختلف البلدان التي زاروها أو مربها فزخرت كتبهم بمادة ثرية تفيد المؤرخين في دراساتهم وإذا كانت النصوص التعبيرية لا تخلو من حضور الذات بصيغة ما , فإن الرحلة تستحضرها بشكل خطي و عمودي بجانب الأخر , هذا الأخير الذي هو أفكار وقيم وعاداتو ثقافة وعند أفوق أي لأنّ الراوي ينظر إلى هذا الإختلاف بإعتبارهما سؤالا خلفيا يقف وراء كل صور للأخر, وجاءت الرّحلة في مواجهة بين الذات , الأنا , والأخر , والغير , لإكتشاف الأفاق الأخرى و التكيّف مع القيم الإنسانية.[4]

رابعا المبدأ الواقعي :

يشيد المبدأ الواقعي في النص الرحلي بالصورة النسبية التي تجعله متراوحا بين التقريرية و الإحتمالية , أي بين المشاهدات من زاوية الإلتقاط المألوف في الزمان و المكان والإنسان و بين المسموعات

[1] ينظر مرجع نفسه ص284

[2] أساسا أدبية الرحلة,ص18

[3] ينظرمرجع نفسه ص18

[4] ينظر مرجع سبق ذكره شعيب حليفي ص176

التهيؤآت , مما أعطى للرحلة مسارا حافلا بالتأويل و القراءات و تنوع المتلقين..., إن حضور بنية المكان وتفرعها إلى للعبور داخل ذات الراوي الرحالة في أن واحد, ووسطة أزمنة مختلفة معينة و مستدعاه , ثابتة و محوّلة.[1]

بنية الفضاء و الزمن :

يشكل المكان مرجعا حينما تناوله من سرود مباشرة من خلال مشاهدات الراوي الرحالة وكذلك سجلا يسترجع من خلاله الراوي أمكنة تاريخه و جغرافية لأمكنة معينة من خلال هذين العنصرين يتضح المكان و علاقته التي تجئ طبيعة حينا و متوترة حينا أخر لأنه يتحول من وعاء مادي حاملا للرموز. فإن الرحلة هي نص زمني بإمتياز سواء كانت هذه البنية من التاريخ بقصد إبراز الحرص على إمداد القارئ بوقائع حقيقة ذات مرجعيات مضبوطة. ويتوقع الزمن ضمن كل الأحداث و الأفعال.[2]

أليات تلقي الأخيلة:

إنّ التلقي من عمليات المعقدة , التي شغلت الباحثين و الدارسين و النقاد و ما طرحته من إشكالات و إمتدادات متشابكة لذا نجد أراء متضاربة في خصوص قضية التلقي فعند ياوس "... التركيز على أفق الإنتظار أو التوقع , صار جزء أساسيا في بناء أي تصور حول التلقي حسب جاب لنتفلت"...ثمّ النص الإرسالية , مع تغيب أو إغفال لذات الراوي هو في نفس مستوى المتلقي أو كلاهما يسهم في خلق العالم الفني للخطاب السردي "الفارابي "...لأن معالم الإستجابة لتي يحدثها التخيل في التلقي, في ضوء حقيقة مؤكدة في علم النفس الأرسطي , مؤداها أن الأنسان كثيرا ما يتبع إنفعالاته وتخيلاته أكثر مما يتع ظنه[3]

[1] الرحلة في الأدب العربي التجنس اليات الكتابة الخطاب المتخيل, ص315

[2] مرجع نفسه ص317

[3] مرجع نفسه ,ص332

المبحث الثالث : الدراسة الفنية لأدب الرحلات:

الأسلوب و اللغة والمنهج:

تأثر الأندلسيّون و المغاربة بأسلوب الكتابة الأدبيّة المشرقيّة , و هذا ما جعل الرحلات ومعظم أصحابها يؤثرون التعبير السّهل المؤدي للغرض بدلا من التكلّف , وتزويق العبارة , ولعلّ التّجارب التي مرّ بها معظم الرّحّالة كان لها دور في نضج الأسلوب العلميّ السليم في كتاباتهم , لما وصلوا أليه من علم غزير , فحرصوا على تدوين ملاحظاتهم أولا بأول , ومن لم يفعل ذلك , دوّن رحلته بعد عودته إلى بلاده معتمدا على قوة الملاحظة فيوصف ما شهاده, فقدمت رحلاتهم مادة علميّة متنوعة الموضوعات حيث يقول ابن خلدون : التكلف المحسنات البديعيّة ومعاناتها يصير إلى الغفلة عن التراكيب الأصليّة للكلام ..... وليبقى في الكلام ألاّ تلك التحسينات.))[1]

الوصف:

لعب الوصف دورا بارزا في الرّحلات , التي كانت تمثل خطّا طويلا منه , فلوصف أبعاد جماليّة , بما يقدّم من رسم لملامح الشخصيّات أو إضاءات عن المواقع والأحداث , وقد إستطاعت هذه الأوصاف أن تعبّر عن إنطباعات الرحالة , وترسم صورة لشخصيتهم , فهم ينقلون الأخبار والأحداث , ويصفونها بحيث تصل إلى عالم المحسوسات وبهذا فإن الرحلات قد مزجت بين الوصف الذاتيّ والوصف الخارجيّ لشخصياتها , الثابتة التي لم تؤثر فيها الأحداث و الشخصيات المتطورة التي تتفاعل مع الحوادث وتكشف لنا عنها شيئا فشيئا , فكان الرّحّالة بذلك كتابا ورواة ومؤرخين

[1] أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجريص2

سجّلوا الكثير من الأحداث والوقائع ومثّل بعضهم شخصية القاصّ المبدع.[1]

البناء الفنيّ والسردي:

إنّ القيمة الأدبيّة لكتب الرّحلات تتجلىّ في ما تعرض فيه موادّها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب وترقى بها إلى مستوى الخيال الفنيّ وبرغم ما يتسم به أدب الرّحلات من تنّوع في الأسلوب من السّرد القصصيّ إلى الحوار إلى الوصف , فإن أبرز ما يّميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوّق , بما يقدّمه من متعة ذهنيّة كبرى , فإنّ معظم كتب الرحلات تلتزم بمحور البناء الفنيّ هذا : المقدمة, العرض الخاتمة ,الفضاء الزّماني المكانيّ ,السّرد والحوار, الحكاية والأساطير.[2]

-مما سبق يلاحظ أن معظم الرحالين إعتمدوا هذا البناء الفني في عرضهم للرحلات هم فهو يرافق مسيرة الرحلة من البداية إلى النهاية , كما لعب الزمان ومكان دورا هاما فهما يشكلان دائرة منغلقة ينتهي كل واحد منها بإنتهاء الأخر. كما لجاء الرحالة إلى إستخدام عناصر أساسية واضحة كالسرد والحوار والوصف , والشيء بهذا تشكل الرحلة نصا فنيا يمثل جذور القصة الأدبية لإحتوائه العناصر الأساسية التي تساعده على نسج حكايات مشوقة ترقى إلى مستوى المطلوب ,الذي يدعوا إلى الريبة إستخدام الرحالة العناصر الخيالية و الغرائبية في رحلاتهم هذا ما يدعونا للبحث عن دوافع والدّاعي التي دفعت الرّحالة لذكرها .

[1] مرجع نفسه, ص 279

[2] أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن ا لتاسع هجري,ص291

الفصل الثاني :رحلة ابن فضلان ودورها في الاتصال بين الشعوب والحضارات

المبحث الأول: نبذة عن الرحالة ورحلته

تعريف إبن فضلان:

أحمد بن العباس بن راشد بن حماد ,كان يعيش في النصف الثاني من القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع الهجري التاسع والعاشر الميلادي. وهناك في إسمه بعض الإضطرابات :فعبر عنه ياقوت الحموي بأحمد وورد إسمه في النسخة الخطية للكتاب بصورتين أحمد . وهو كان من موالي فاتح صاحب حمد بن سليمان.[1]

رحلة إبن فضلان:

قام إبن فضلان برحلة إلى بلاد البلغار ألمش بن بلطوار في 11من صفر عام 309ه الموافق 21من يونيو 921م , إستجابة لدعوة من ملك بلغار ,الذي أسلم وأرسل إلى الخليفة المقتدر بالله يطلب منه أن يبعث إليه من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام ,ويصف له الطريق الصحيح إلى الله ورحمته , عملا وقولا وحكما وحكمة , كما طلب من الخليفة أن يبعث إليه من يساعده في بناء مسجد , يتوافر له الطراز المعماري الإسلامي , كذلك في بناء حصن يدفع عن بلاده الأعداء من الملوك المجاورين فرحب المقتدر بالدعوة, وأمر بتشكيل بعثة دينية وهندسية إلى ملك الصقالبة برئاسة أحمد بن فضلان ,بوصفه فقيها ورجلا من أبرز رجال الدين في زمنه.[2]

سجل إبن فضلان رحلته في رسالة قدمها إلى المقتدر بعد عودته , عرض خلال فقراتها صورة صادقة للظروف السياسية في الدولة الإسلامية وخاصة في المناطق التي تقع شمالا في تلك الفترة أطراف العالم المتحضر مثل حوض نهر الفولجا.[3]

---

[1] ينظر ,احمد بن العباس بن راشد الحماد, احمد ابن فضلان الى بلاد الترك والروس والصقالبة,السويد,ابوظبي,ط1, 2003م,ج1,ص6

[2] ينظر مرجع سبق ذكره,فؤاد قنديل,ص164

[3] ينظر ادب الرحلة في التراث العربي ص164

يقول ابن فضلان:

لمّا وصل كتاب ألمش بن بلطوار ملك الصقالبة إلى أمير المؤمنين المقتدر , يسأله فيه البعثة إليه ممّن يفقهه في الدّين , ويعرّفه شرائع الإسلام , ويبين له مسجدا , وينصب له منبرا ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته , ويسأله بناء حصن يتحصّن فيه من ملوك المخالفين له فأجيب إلى ما سأل من ذلك .وكان السفير له نذير الحرمى فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه وتسليم ما أهدي إليه , والإشراف على فقهاء والمعلّمين , وسبّب له بالمال المحمول إليه . لبناء ما ذكرناه وللجراية على الفقهاء والمعلّمين , على الضّيمة المعروف" بار بخشمسين"من أرض خوارزم من ضياع إبن الفرات وكان الرسول إلى المقتدر من صاحب الصقالبة رجل يقال له "عبد الله بن باتشوا لخرزي " والرسول من جهة السلطان" سوسن الرّسي مولى نذير الحرمى" , وتكين التركي , ويارس الصقلابي وأنا معهم . على ما ذكرت , فسلمت إليه الهدايا , له لإمراته ولأولاده , وإخوته وفؤاده وأدويته كان كتب الأ نذير يطلبها فرحلنا من مدينة السّلام يوم الخميس لأحدى عشر .))[1]

مضى إبن فضلان في رحلته مارا بعدة مدن هي همدان والري ونيسابور ومرو حتى بلغ بخاري التي قرر أن يبقى فيها بعض يوم للراحة , وإلتقى فيها بوزير السامانيين العالم الشهير الجيهاني ولقى أثناء ذلك الرعاية من أمير خراسان , ثم إستأجر سفينة من بخاري حملته والوفد المرافق في نهر جيحون إلى خوارزم ,ودخل على أميرها محمد بن عراف خوارزم شاه فأكرمه وأحسن ضيافته , ويذكر إبن فضلان أن الأمير نصحه أكثر من مرة بأن يرجع عن هذه الرحلة , لأ نه في الأغلب سيتعرض هو ومن معه للهلاك , وألح الأمير في ذلك , ألاّ أن إبن فضلان كان يزداد تشبا بالهمة ويلتهب شوقه للأقدام عليها , ربما يسبب ما يقصه الأمير عليه محاولا منعه [2]. وواصل رحلتنا طريقه إلى مدينة الجرجانية وعنها يقول:

((فأقمنا بالجرجانيّة أياما , وجمد "نهر حيجون " من أوله إلى أخره , وكان سمك الجمد سبعة عشر

[1] سامي الدّهان, رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر,المجمع العلمي العربي,دمشق,309ه-921م,ص67

[2] ينظر مرجع سبق ذكره,فؤاد قنديل ص165

شبرا وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق , وهو ثابت لا يتخلل , فأقام على ذلك ثلاثة أشهر , فرأينا بلدا ظننا إلاّ أ نّ بابا من الزّمهرير قد فتح علينا منه ولا يسقط فيه الثلج إلاّ ومعه ريح عاصف شديدة . وإذا أتحف الرجل من أهل صاحبه , وأراد برّه قال له : تعال إليّ حتى نتحدث فإن عندي نارا طيبة.)) [1]

يستأنف حديثه الشيق[2] فيقول:" وتطاول مقامنا بالجرجانية وذاك أنا أقمنا بها أيّاما من رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال , وكان طول مقامنا من جهة البرد وشدته ولقد بلغني أن رجلين ساقا إثنى عشر جملا ليحملا عليها حطبا من بعض الغياض فنسيا أن يأخذا معهما قدّحة وحرّاقة , وأنهما باتا بغير نار فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد, ولقد رأيت لهواء بردها بأن السوق بها والشوارع لتخلو حتى يطوف الإنسان ."[3]

ويمضي إبن فضلان إلى بلاد الترك , منتقلا من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى أخرى يصف أحوال الناس وحيواناتهم وعاداتهم [4], فيقول عنهم:

"إنهم كانوا لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا غير ذلك , وليس بينهم الماء عمل , خاصة في الشّتاء , ولا يستتر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم وكذلك لا تستر المرأة شيئا من بدنها عن أحد من الناس."[5]

ويصل إبن فضلان ورجاله إلى بلاد الصقالبة , التي أوفدهم المقتدر إليها[6], فيقول : "فلّما كنّا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة , وجّه لإستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده وإخوته وأولاده فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم و الجاورس وساومانا , فلّما صرنا منه على

[1] رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر,ص83

[2] مرجع سبق ذكره فؤاد قنديل,ص166

[3] ينظر مرجع نفسه ,ص84

[4] ينظر مرجع سبق ذكره فؤاد قنديل,ص166

[5] ينظر مرجع سبق ذكره سامي الدّهان,ص92

[6] ينظر مرجع سبق ذكره فؤاد قنديل ,ص168

فرسخين تلقّانا هو بنفسه , فلما رأنا نزل فخّر ساجدا شكرا لله ."[1]

-أما بلاد الروس فيأخذنا إبن فضلان معه لنرى بعينه ونسمع بأذنيه ونتأمل أحوال وعادات أهل هذه البلاد, وهو تقريبا لا يترك شيئا جديرا بالإلتفات والملاحظة إلاّ إلتقطه وسجله, ولا يستنكف _كما فعل غيره_أن يذكر ما أنكره منهم مثل علانية النكاح أحيانا بلا إحساس بالخجل, ويحكي بالتفصيل الجاهلية التي لازالت تستبدهم في عبادتهم , كما يصف لنا أحوالهم في الإغتسال والمرض والموت.[2]

إذ يقول:

"ورأيت الرّوسية وقد وافوا في تجاراتهم , ونزلوا على نهر إتل فلم اراتّم أبدانا منهم كأنهم النخل , شقر حمر لا يلبسون القواطق ولا الخفاتين ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه , ويخرج إحدى يديه منه , ومع كلّ واحد منهم فاس وسيف وسكيّن لا يفارقه جميع ما ذكرنا, وسيوفهم صفائح مشطّبة إفرنجية, ومن حدّ ظفر الواحد منهم إلى عنقه مخضر شجر وصوره وغير ذلك , وكلّ إمرأة منهم فعلى ثديها حقّه مشدودة إما من حديد وإما من فضة..."[3]

دواعي القيام بالرحلة:

طلب ملك البلغار في وفد للخليفة بإرسال بعثة دينية فقيه ويبني ملك بلغار المسجد الجامع والعمل على بناء حصن للحماية من الخزر , وقد إستجاب المقتدر بالله للأمرين معا, وسافر الوفد من أربع أشخاص ومعهم رسول ملك البلغار ومعهم من يعرف لغة الأتراك , وكان إبن فضلان من يتولى تسليم خطاب الخليفة والهدايا ومن بينها أدوية.[4]

[1] ينظر رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر,ص113

[2] ينظر مرجع سبق ذكره فؤاد قنديل ص172

[3] ينظر مرجع سبق ذكره سامي الدّهان,ص149

[4] ينظر رحلة احمد ابن فضلان من محاضارات الدكتور عبد العال الشامي 308

خط سير الرحلة:

يمثل خط سير الرحلة بين بغداد والبلغار الذي إستغرق 11,جغرافية كما إشتمل عليه حقائق بنظام الرحلة في مناطق متباينة في ظروفها التضاريسية والمناخية وفي النظم السياسية والأهواء الدينية والأحوال العرقية مما يعكس صعوبة المناخ.

بدأت الرحلة من بغداد في يونيو 921م309ه وإتجهت شرقا بشمال مارا بإقليم الجبال ووصلت همذان والرىّ واصلت السير شرقا نيسابور وكان الطريق إليها محفوفا بالمخاطر لوجود العلويين في إقليم طبرستان وقد تنكر أعضاء الوفد في القافية كمسافرين عادين ثم ساروا إلى بخاري وكان الطريق إليها أمنا.[1]

وفيها قابل إبن فضلان أصحاب خراسان وذلك في شهر سبتمبر وعادت القافلة إلى نهر جيحون الذي عبرته ثم سارت في النهر في سفينتين إلى خوارزم . وهناك حاول حاكمها منعهم من مواصلة السير بالتخويف من دخول أرض الغزو ولكنهم أصروا وواصلوا السير إلى الجرجانية وإستقروا فيها حتى ينقضي الشتاء ومع بداية مارس واصلوا السير ,ولكن بعد أن تخلف منهم عددا من الفقهاء والمعلمين والغلمان إما خوفا من مخاطر السير بعد أن عاينوا قسوة الشتاء أو بسبب قلة الموارد المالية.

ومن بقوا مع إبن فضلان واصلوا السير إلى بلا د النهرين بحر أرال في الغرب جمهورية كا زا خستان ثم واصلوا السير شمالا حتى بلغوا العاصمة البلغار وقد قطعوا المسافة ما بين الجرجانية ومدينة البلغار في 30يوما.[2]

أهمية الرحلة:

لقد قدمت هذه الرحلة وصفا دقيقا للمناطق والشعوب التي زاراها ,فقد إستطاع إبن فضلان أن

[1] ينظر رحلة احمد ابن فضلان من محاضرات الدكتورعلي الشامي ص383

[2] ينظر سامي الدهان ,رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر,المجمع العلمي العربي ,دمشق- سوريا,309ه-921م,ص29

يصور عادات والتقاليد والحياة والأخلاق في ذلك العصر , في مختلف المناطق التي مربها أو قام فيها , فلم يغفل كثيرا مما يحتاج إليه ما يدور خلال السياحة من حوار ووصف الحكام والأمراء ورجال الشعب على حد سواء .

-كما لاننسى فضل الرسالة على الجغرافيين والمؤرخين من العرب فهم كلما تحدثوا عن هذه الأصقاع نقلوا عن إبن فضلان .[1]

[1] ينظر رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ص 29

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية:

عاداة الشعوب:

لفت نظر الرحالة الأوضاع المعيشة التي كانت سائدة في تلك المناطق التي قصدوها وما بلغته الحياة من رقي في أوساط الحكام والأمراء, وصورت محطات هامة في حياة الإنسان من من ميلاد والزواج والموت وكل ما يرتبط بهذه المناسبات من مظاهر إجتماعيّة وإحتفالات وما يرافقها من عادات والتقاليد مختلفة.[1]

-إذ نجده لا يغفل على بعض السلوكات الإجتماعية التي كانت سائدة عندهم فمثلا أهل الغزية لا يهتمون بعفة المرأة ولا بستر عورتها وهذا أثار إشمئزازه وإستنكاره لأنه يخالف التشريع الإسلامية وما أمر الله به أن تستر المرأة نفسها.

يقول إبن فضلان:

((ولقد نزلنا يوما على رجل منهم فجلسنا ,وإمرأة الرجل معنا ,فبينما هي تحدثنا إذ كشفت فرجها وحكته. ونحن ننظر إليها فسترنا وجوهنا , وقلنا : أستغفر الله فضحك زوجها , وقال للتّرجمان : قل لهم تكشفه بحضرتكم فترونه وتصونه فلا يوصل إليه, هو خير من أن تغطيه وتمكن منه.))[2]

((وليس يعرفون الزّنا. ومن ظهروا منه على شيء من فعله شقّوه بنصفين. وذلك أنهم يجمعون بين أغصان شجرتين, ثم يشدونه بالأغصان, ويرسلون الشجرتين فينشق الذي شد إليهما.))[3]

((ويترل الرجال والنساء إلى النّهر فيغتسلون جميعا عراة لا يستتر بعضهم من بعض , ولا يزنون بوجه ولا سبب. و من زنا منهم كائنا من كان ضربوا له أربع سكك ,وشدّوا يديه ورجليه إليها وقطّعوا بالفأس من رقبته إلى فخذيه ,كذلك يفعلون بالمرأة أيضا .ثم يعلق كل قطعة منه ومنها على

[1], ينظر ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ص99

[2]ينظر مرجع سبق ذكره سامي الدّهان,ص92

[3]ينظر مرجع نفسه,ص94

شجرة.))[1]

-أعار إبن فضلان موضوع المرأة إنتباها خاصا ولاسيما بعد أن رأى تحففها من ضوابط التقليد الإسلامي , فأثار إستهجانه نزول الرجال والنساء إلى النّهر ليغتسلوا عراة لا يستتر بعضهم من بعض.[2] فيقول:

((ومازلت أجتهد أن يستتر النساء ممن الرجال في السباحة فما إستوى لي ذلك. ويقتلون السارق كما يقتلون الزاني.))

-نجدإبن فضلان يصدم من السلوك الإجتماعي للأهل الروس ولاسيما يخص العلاقة بين الجنسين , حيث يختفي التستر والعفة من جهة , وهو سلوك خاص بمجتمعه الثقافي الديني أو ما يخص النظافة والطهارة وما إعتماده من طقس إسلامي بهذا الخصوص يقول:

((ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر . ولكل واحد سرير يجلس عليه , ومعهم الجواري الرّوقة للتجار , فينكح الواحد جاريته , ورفيقه ينظر إليه. وربّما إجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بحذاء بعض وربّما يدخل التاجر فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي أربه .وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول , ولا يغتسلون من جنابة , ولا يغسلون أيديهم من الطعام بل هم كالحمير الضّالّة .)) [3]

يصف بتقزز عاداتهم اليومية قائلة:

((ولابد لهم في كلّ يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكونوا طفسه. وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة , ومعها قصعة كبيرة فيها ماء فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه, وشعر رأسه فيغسله ويسرحه بالمشط في القصعة , ثم يمتخط ويبصق فيها , ولا يدع شيئا من القذر

[1] ينظرمرجع نفسه,ص93

[2] .22صورةأوربا في رلة إبن فضلان موقع أرنتربوس-مبوك بوطوقة,

[3] مرجع سبق ذكره سامي الدّهان,ص151

إلاّ فعله في ذلك الماء فإذا فرغ ممّا يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الّذي إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه , لاتزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت .كلّ واحد منهم يمتخط ويبصق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها.[1]

-كما لم يغفل إبن فضلان و لم ينسى ذكر برد بلاد الشمال وما صادفه من مصاعب أثناء رحلته قائلا:

(فرأينا بلدا ما ظّننا إلاّ أن بابا من الزّمهرير قد فتح علينا منه, ولا يسقط فيه الثلج إلاّ معه ريح عاصف شديدة..... ,وكان طول مقامنا من جهة البرد وشدّته ولقد بلغني أن رجلين ساقا إثنى عشر جملا ليحملا عليها حطبا من بعض الغياض فنسيا أن يأخذا معهما قدّحة وحراقة وأنهما باتا بغير نار, فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد.)[2]

ويواصل حديثه عن البرد قائلا:

((ولقد رأيت لهواء بردها بأن السوق بها والشوارع لتخلو حتى يطوف الإنسان أكثر الشوارع والأسواق, فلا تجد أحد ولا يستقبله إنسان , ولقد كنت أخرج من الحمام , فإذا دخلت البيت نظرت إلى لحيتي وهي قطعة واحدة من الثلج حتى كنت أدنيها من النار.))[3]

ويذكر كذلك:

((ولقد رأيت الأرض تنشق فيها أودية عظام لشدة البرد, وإن العظيمة العادية تنفلق بنصفين لذلك))[4]

أمّا عن بلاد الترك يقول:

((أوغلنا في بلد الترك لا نلوى على شيء, ولا يلقنا أحد, في برية قفر , بغير جبل, فسرنا عشرة

[1] ينظر رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ,ص152

[2] ينظر مرجع نفسه ,ص83

[3] ينظر مرجع نفسه ,ص85

[4] مرجع نفسه, ص86

أيّام, ولقد لقينا من الضر والجهد, والبرد الشديد, وتواصل الثلوج الذي كان البر د خوارزم عنده مثلا أيّام الصّيف, ونسينا كلّما مربنا , وأشرفنا على تلف الأنفس....فلماّ سرنا عشرة ليلة وصلنا إلى جبل عظيم كثيرا الحجارة , وفيه عيون تنجرف عبره بالحفرة (تستقر)الماء.))[1]

((ثم إرتحلنا فنزلنا على نهر جيخ وهو أكبر نهر رأيناه, وأعظمه, وأشدّه جرية.))

-شاهد كثيرا من الظواهر الغريبة عند الصقالبة نذكر البعض منها:

((ورأيت النهار عندهم طويلا جدا وإذا أنّه يطول عندهم مدة من السنّة ويقصر الليل , ثم يطول ويقصر الليل ويقصر النّهار, فلما كانت اللّيلة الثانية جلست خارج القبّة وراقبت السماء فلم أرض الكو اكب الأعداد يسيرا ظننت أنه نحو الخمسة عشر كوكبا متفرقة وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بته , وإذا الليل قليل الظلمة يعرف الرجل فيه من أكثر من غلوة سهم.))[2]

فختلط على إبن فضلان الوقت و لم يعرف وقت الصلاة .

ومن الظواهر الغربية أيضا:

((ورأيت القمر لا يتوسط السّماء بل يطلع في أرجا ئها ساعة ثم يطلع الفجر فيغيب .وحدّثني الملك نوراء بلدة بمسيرة ثلاثة أشهر قوم يقال لهم ويسو , اللّيل عندهم أقلّ من ساعة.), وما رأيت أكثر من الصواعق في البلدهم, وإذا وقعت الصاعقة على بيت لم يقربوه ...))[3]

-كما لفت نظره الطبيعة المحيطة به وما تحتويه تلك المناطق على أنهار كثيرة وجميلة إذ نجده يقدم وصفا دقيقا لها قائلا:

((يترل الملك إلى الماء إسمه خلجة وهي ثلاث بحيرات ,منها إثنتان كبيرتان وواحدة صغيرة, إلاّ أنه

[1] ينظر رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر,ص89

[2] مرجع نفسه ص125

[3] ينظر مرجع نفسه ص126

ليس في جميعها شيء يلحق غورة, وبين هذا الموضع وبين لهم عظيم ينصب إلى بلاده الخزر يقال له نهر إتّل نحو الفرسخ وعلى هذا النهر موضع سوق تقوم في كلّ مديدة , ويباع فيها المتاع الكبير النفيس)).[1]

ولفت نظر إبن فضلان خلال رحلته ومروره بهذه المناطق حيوانات ونباتا تها مختلفة كانت موجودة يقول:

((ورأيت الحيّات عندهم كثير ة حتى أنّ الغص من الشجرة لتلتف عليه العشرة منها والأكثر ولا يقتلوها ولا تؤديهم حتى لقد رأيت في بعض المواضع شجرة طويلة يكون طولها أكثر من مائة ذراع و سقطت وإذا بدنها عظيم جدا فوقفت أنظر إليه إذ تحرك فراعنى ذلك وتأملته فإذا عليه حبة قريبة منه الغلظ والطّول فلما سقطت عنه, وغابت بين الشجر فجئت فزعا.)[2]

((..., فرأينا عودا صغيرا أخضر كرقّة المغزل وأطول , فيه عرق أخضر , على رأس العرق ورقة عريضة مبسوطة على الأرض, مفروش عليها مثل النّابت ,فيها حب لا يشك من يأكله أنّه رمّان إملبسي, فأكلنا منه فإذا به من اللّذة أمر عظيم , فما زلنا تتبعه ونأكله.))

((ورأيت لهم تفاحا شديد الخضر وأشد حموضة من خل الخمر...,ولم في بلدهم أكثر من شجر البندق, لقد رأيت منه غياضا تكون الغيضةأاربعين فرسخا في مثلها))[3].

((ورأيت لهم شجرا لا أدري ما هو, مفرط الطّول وساقه أجرد من الورق ,ورؤوسه كرؤوس النخل له خوص.))[4]

-تشكل البيوت في المدن إحدى مظاهر العمرانية ويرتبط بناء البيوت وأشكالها بدرجة رقي المدينة

[1] ينظر رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس الصقالبة والخزر ص135
[2] ينظر مرجع نفسه ص127
[3] ينظرمرجع نفسه ص128
[4] ينظرمرجع نفسه,ص129

ومظاهرها الحضارية لذا كان للمبعوثين وقفة عند بيوت هذه الشعوب:[1]

((....في بيت جوف ,بيت, وفيه قبة ليود تركي))[2]

-أما أهل الغزية فيبدوا عليهم عدم الإستقرار وذلك كثرة تنقلهم وإرتحالهم يقول إبن فضلان:

((إذاهم بادية ,لهم بيوت شعر, يحلون ويرتحلون, ترى منهم الأبيات في مكان ,مثلها في مكان أخر, على عمل البادية وتنقلّهم, وإذ هم في شقاء...))[3]

-أما سكان أهل الصقالبة فقد كانوا يسكنون في قباب ولقد قدم لنا إبن فضلان وصفا لقبة الملك إذ يقول:

((كلهم في قباب, إلاّ أن قبّة الملك كبيرة جدا, تسع ألف نفس وأكثر, مفرودة بالفرش الأرمني ,وله في وسطها سرير مغشى بالديباج الرومي.))[4]

يواصل وصفه لمساكن إذ يقول عن مساكن أهل الروس:

((يبنون على شطه بيوتا كبارا من الخشب ويجتمع في البيت الواحد العشرة و العشرون والأقل والأكثر ولكل واحد سرير.))[5]

الملبوسات:

"نظرا لقسوة المناخ في إقليم جرجان من إنخفاض درجات الحرارة وبرودة الطقس في فصل الشتاء والفصول الأخرى . إذ يقول إبن فضلان:

[1] ينظر جمال الدين فالح الكيلاني ,الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي, الزنبقة,القاهرة-مصر,ص87

[2] ينظر رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ص130

[3] مرجع نفسه ,ص91

[4] مرجع نفسه ,ص131

[5] مرجع نفسه,ص151

((منهم فكان كل رجل منّا عليه قرطق وفوقه خفتان , وفوقه بوستين , وفوقه لبادة وبرنس, لا تبدو منه إلاّ عيناه وسراويل طاق , واخر مبطّن, وران, وخفّ كيمخت, وفوق الخف اخر, فكان الواحد منّا إذا ركب الجمل لم يقدر أن يتحرك لما عليه من الثّياب .))[1]

أمّا أهل الروس فيقول: عن لباسهم: 'لا يلبسون القراطق ولا الخفاتين ولكن يلبس الرجل كساء يشتمل به على أحد شقّيه , ويخرج إحدى يديه منه..

ويواصل إبن فضلان في وصف لباس أهل الصقالبة إذ يقول:

"وكلّهم يلبسون القلانس , فإذا ركب الملك وحده بغير غلام ولا أحد يكون معه , فإذا إجتاز في السوق لم يبق أحد إلاّ قام وأخذ قلنسوته عن رأسه فجعلها تحت إبطه.[2]

الطعام والشراب:

أول ما يشد المبعوث في أثناء رحلته هي أصناف الطعام والشراب التي تقدم إليه من الشعوب المار عليها وذلك لحاجته الماسة لها, وبعضها يستسيغه والبعض مما لا يتلاءم مع ذوقه أو ديانته أو طبيعته .[3]

ويقول إبن فضلان عن ذلك:

(بلدهم حتى يجعل له منهم صديقا ينزل عليه..... حمل إليه من الغنم على قدره حتى يتولى المسلم يسمي أهل الجرجانية الخبز(بكند) , الجاورس, والنمكسوذو للأتراك عاداتهم الخاصة بإستقبال الضيوف هم ....ومن مراسيم ضيافتهم _أي الغزية _لا يقدر أحد من المسلمين أن يجتاز ذبحها لأن الترك لا يذبحون إنما يضرب الواحد منهم الرأس الشاة حتى تموت.))[4]

أما بالنسبة إلى قبيلة الباشغرد فقد كانوا يأكلون القمل يقول عنهم إبن فضلان:

---

[1] رسالة إبن فضلان الى بلاد الروس الصقالبة والخزر ص78

[2] ينظر مرجع نفسه ص131

[3] مرجع سبق ذكره جمال الدين فالح الكيلاني ص66

[4] مرجع سبق ذكره سامي الدّهان, ص94

((.....ويأكلون القمل , يتتبع الواحد منهم درز قرطقه, فيقرض القمل بأسنانه. ولقد كان معنا منهم واحد قد أسلم , وكان يخدمنا فرأيته وجد قملة في ثوبه , فقصها بظفره, ثم لحسها , وقال لما رأني : "جيد"[1])).

أما مراسيم الضيافة عند الصقالبة فيذكرها إبن فضلان قائلا:

((فدعا بالمائدة فقدمت وعليها اللحم المشوي وحده فابتدأ هو فأخذ سكينا وقطع لقمة وأكلها , وثانية وثالثة ثم إختر قطعة دفعها إلى (سوسن) الرسول فلما تناولها جاءته ما ئدة صغيرة فجعلت بين يديه , كذلك الرسم, لا يمدّ أحد يده إلى الأكل حتى يناوله الملك لقمة فساعة يتناولها قد جاءته مائدة, ثم دعا لشراب العسل وهم يسمونهالسجو.))[2]

يستأنف وصفه لأنواع الطعام فيقول:

(وأكثر أكلهم الجاورس ولهم الدابة , على أنّ الحنطة والشعير كثير وليس لهم مواضع يجمعون فيها طعامهم ولكنّهم يحفرون في الأرض أبارا. ويجعلون إلى طّعام فيها فليس يمضي عليه إلاّ أيّام يسيرة حتى يتغير ويريح فلا ينتفع به , وليس لهم زيت, ولا شيرج, ولادهن بتةوإنّما يقيمون مقام هذه الأدهان دهّن السمك , فكلّ شيء يستعملونه فيه يكون زفرا, وسلون الشعير حساء يحسونه , الجواري والغلمان, وربما طبخوا الشعير باللحم فأكل الموالي وأطعموا الجواري الشعير إلاّأن يكون رأس تيس فيطعم من اللّحم.) [3]

مراسيم الزواج:

تختلف مراسيم الزواج من منطقة إلى أخرى فلكل منطقة عاداتها خاصة بها هذا ما أبرزه إبن فضلان من خلال رحلته إذيقول عن هذه المراسيم:

[1] رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر, ص108

[2] مرجع ,نفسه ص116

[3] مرجع نفسه ص129

(ورسوم تزويجهم , وهو أن يخطب الواحد منهم إلى ا لأخر ببعض حرمه, إمّا إبنته او أختها بعض من يملك أمره, على كذا وكذا ثوب خوارزمي , فإذا وافقه حملها إليه, وربّما كان المهر جمال أو دواب أو غير ذلك . وليس يصل الواحد إلى إمراته حتى يوفى الصّداق الّذي وقّفوليّها عليه, فإذا وفّاه إياه جاء غير محتشم حتى يدخل إلى المترل الذي هي فيه , فيأخذها بحضرة أبيها وأمها وإخوتها , فلا يمنعونه من ذلك.)[1]

يستأنف حديثه أو وصفه لمراسيم الزواج قائلا:

"وإذا مات الرجل وله أخت وأولاده تزوج الأكبر من ولده بإمرأته إلاّ لم تكن أمّه . ولايقدر أحد من التجار ولا غيرهم أن يغتسل من جنابة بحضرتهم إلا ليلا من حيث لا يرونه....."[2]

قبل أن نتكلم عن مراسيم الدفن الميت نتكلم عن الأمراض التي كانت شائعة عندهم وكيف يتعاملون مع مرضاهم وهذا ما لفت نظر إبن فضلان وتكلم عنه قائلا:

((وإذا مرض الرجل منهم, وكان له جواري وعبيد خدموه و لم يقربه أحد من أهل بيته, ويضربون له خيمة, ناحية من البيوت ,فلايزال فيها إلى أن يموت أو يبرأ.وإن كان عبدا أو فقيرا موآبه إلى الصحراء وإرتحلوا عنه))[3]

((ومارأيت منهم إنسانا يحمرّ, بل أكثرهم معلول. وربما يموت أكثرهم بالبولنج, حتى إنّه ليكون بالطفل الرضيع منهم. وإذا مات المسلم عندهم أ؟و زوج المرأة .الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين ,ثم حملوه على عجلة تجره, وبين يديه مطرد حتى يصيروا به إلى المكان الذي يدفنونه فبه, فإذا صار إليه أخذوه عن عجلة وجعلوه على الأرض , ثمّ خطّوا حوله خطّا ,ونحّوه, ثم حفروا دخل ذلك الخط

[1] رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ص93

[2] مرجع نفسه ص94

[3] ينظرمرجع نفسه ص99

قبره,وجعلوا له لحدا, ودفنوه.))[1]

أما الروس ((فإن مرض أحدهم ضربوا له خيمة ناحية عنهم ,وطرحوه فيها, وجعلوا معه شيئا من الخبز والماء ,ولا يقربون هو لا يكلمونه ,بل لا يتعاهدون في كل أيام مرضه لاسيّما إن كان ضعيفا مملوكا فإن برئ وقام رجع إليهم ,وأن مات حرقوه , فإن كان مملوكا تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير)).[2]

مراسيم دفن الميت:

تختلف مراسيم دفن الميت من منطقة إلى اخرى وهذا ما سوف نراه عندإبن فضلان إذ يقول عن أهل هذه المناطق:

((إذا مات الرجل منهم حفروا له حفيرة كبيرة كهيئة البيت وعمدوا إليه فالبسوه قرطقة وقوسه... وجعلوا في يديه قداحا من خشب فيه نبيذ . وجاءوا بكل ماله فجعلوه معه في ذلك البيت . ثم أجلسوه فيه فسقفوا البيت عليه , وجعلوا فوقه مثل القبة من الطّين , وعمدوا إلى دوابّه على قدر كثرتها , فقتلوا منها مئة رأس إلى رأس واحد, وأكلوا لحومها إلاّ الرأس والقوائم والجلد والذنب , فإنهم يصلبون ذلك على الخشب .وقالوا هذه الدوابه يركبها إلى الجنة. فإن كان قتل إنسانا وكان شجاعا نحتوا صورا من خشب على عددا من قتل, جعلوها على قبره, وقالوا: هؤلاء غلمانه يخدمونه في الجنّة.))[3]

أما أهل الصقالبة فلهم عادات خاصة في دفن الميت والميراث يقول عنهم:

((وإذا قتل الرجل منهم الرجل عمدا أقادوه به, وإذا قتله خطا صنعوا له صندوقا من خشب الخذنك , وجعلوه في جوفه , وسّمروه عليه , وجعلوا معه ثلاثة أرغفة وكوز ماء , ونصبوا له ثلاث خشبات

[1] مرجع نفسه ص143

[2] رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر,ص4

[3] ينظر مرجع نفسه ص99

مثل الشبائح وعلّقوه بينها , وقالوا : نجعله بين السّماء والأرض يصيبه المطر والشمس , لعل الله أن يرحمه.)[1]

ولأهل الروس عادات غريبة في دفن موتاهم , إذ يقول إبن فضلان عن بعض هذه العادات:

((إنه إذا مات رجل جليل فجعلوه في قبره , وسقفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياطته وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة , ويجعلونه فيها ويحرقونها. والغنّي يجمعون ماله , ويجعلونه ثلاثة أثلاث .فثلث لأ هله, وثلث يقطعون له به ثيابا, وثلث ينبذون به نبيذا يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها, وتحرق مولاها..., فألبسوه سراويل ورانا وخفّا وقرطقا وخفتان ديباج له أزرار ذهب وجعلوا على رأسه قلنس وة ديباج سمّورية . وحملوه حتى أدخلوه القبّة التي فيها السفينة..., وجعلوا معه حبز ولحم وبصل وسلاحه وكلب وجارية التي قتلت نفسها.))[2]

أما مراسيم الدفن عند الخز إنهم :ا(إذا مات الملك الأكبر يبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتا ويحفر له في كلّبيت منها قبر , وتكسّر الحجارة حتى تصير مثل الكحل , وتفرش فيه وتطرح إلى فوق ذلك, وتحت الأنهر, والنهر نهر كبير يجري , ويجعلون القبر فوق النهر .))[3]

[1] مرجع نفسه ص132

[2] رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ص158

[3] مرجع نفسه ص170

المبحث الثاني : الجياة الدينية

شد إنتباه إبن فضلان أثناء رحلته بعض معتقدات أهل هذه المناطق ,فلكل قبيلة إلاه خاص بها فمثلا أهل الغزية يقول إبن فضلان:

...ولا يدينون لله بدين ويرجعون إلى عقل , ولا يعبدون شيئا , بل يسمّون كبراءهم أربابا .فإذا إستشار أحدهم رئيسه في شيء قال له :يأرب إيش إعمل في كذا وكذا وأمرهم شورى بينهم))[1]

أما أهل الباشغزد: ((فكان كلّ واحد ينحت خشبة على قدر إلآحليل ويعلقها عليه, فإذا أراد سفرا أو لقاء عدو, قبلّها , وسجد لها , وقال : يارب إفعل بي كذا وكذا...., ومنهم كمن يزعم أنّله إثنى عشر ربّا: للشّتاء رب للصيف ربّ, وللمطر رب, وللرّيح رب , للشجر رب, وللناس رب, وللدواب رب, وللماء رب ولليل رب ....يجتمع مع هؤلاء باتفاق , ويرضى كل واحد منهم بما يعمل شريكه, تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا.))[2]

ويروي لنا ابن فضلان ما يتخذه شعوب هذه المناطق من أرباب لعبادتهم من الحيوانات وغيرها كل حسب إعتقاداته قائلا:

رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ص91

[2] ينظرمرجع نفسه ص109

(ورأينا طائفة تعبد الحيّات , وطائفة السمك , وطائفة تعبد الكراكيّ , فعرّفوني إنهم يحاربون قوما من أعدائهم فهزموهم, أن الكراكيّ صاحت وراءهم ففزعوا وإنهزموا , بعدما هزموا , فعبدوا الكراكيّ لذلك.)[1]

أما أهل الصقالبة إهتمام كبير بالمعتقدات والعادات والتقاليد يقول إبن فضلان:

(ورأيتهم يتبركون بعواء الكلاب جدّا, ويفرحون به, ويقولون سنة خصب وبركة سلامة.) إإذا رأوا إنسانا له حركة ومعرفة بالأشياء , قالوا : هذا حقه أن يخدم ربنا.))[2]

هناك منهم من دخل إلى الإسلام يقول إبن فضلان:

ورأينا فيهم يت يكونون خمسةألاف نفس من إمراة ورجل قد أسلموا كلهم, يعرفون بالبرنجار, وقد بنوا لهم مسجدا من خشب يصلون فيه , ولا يعرفون القراءة ,فعلمت جماعة ما يصلّن به .ولقد أسلم على يديّ, رجل يقال له طالوت فأسميته عبد الله فقال : أريد أن تسميني بإسمك محمدا , ففعلت . أسلمت إمراته وأمه وأولاده , فسمّوا كلهم محمدا . وعلمته(الحمد الله) و(قل هو أحد .))[3]

يروي إبن فضلان عن معتقدات أهل الروس قائلا:

(وساعة توافي سفنهم إلى هذا المرسى يخرج كلّ واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة , لها وجه يشبه وجه إنسان , وحولها صور صغار , وخلف تلك الصّور خشب طوال , قد نصبت في الأرض , فيوافي إلى الصورة الكبيرة , ويسجد لها , ثم يقول لها : ياربّ قد جئت من بلد بعيد ومعي من الجواري كذا كذا رأسا ومن السمور. [4]

[1] مرجع نفسه ص109

[2] رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ص127

[3] ينظرمرجع نفسه ص135

[4] ينظرمرجع نفسه ص153

المبحث الثالث : الحياة الاقتصادية والسياسية

أولا:الحياة الاقتصادية:

يشكل جانب الإقتصادي أحد الجوانب المهمة لحياة الشعوب المختلفة التي يمكن أن تشد المبعوث وتجلب إنتباهه كأمور السوق من بيع وشراء وأنواع العملات النقدية المتداولة كواسطة لعملية البيع والشراء فضلا عن الضرائب التي تجبى من تلك الشعوب [1].

يقول إبن فضلان:

((ورأيت الدراهم ببخار ي ألونا شتى. منها دراهم يقال لها الغطريفية : وهي النحاس وشبه وصفر , يؤخذ منها عدد بلاوزن, مائة منها...وكذلك لهم دراهم اخرصفر وحده , أربعون منها بدانق . ولهم أيضا دراهم صفر يقال لها السمرقندية ستة منها بدانق.[2]

يعرض إبن فضلان العملة عند الخوارزم قائلا:

"ورأيت دراهم خوارزم مزيّفة ,ورصاصا وزيوفا , وصفرا ويسمون الدّرهم طازجة ووزنه أربعة

[1] جمال الدين فالح الكيلاني,الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي,الزنبقة القاهرة –مصر ,ص 87

[2] ينظر مرجع سبق ذكره سامي الدّهان ص79

دوانيق ونصف .والصّيرفيّ منهم يبيع الكعاب ,والدوامات , الدراه."[1]

أما عن الضريبة عند أهل الصقالبة يقول إبن فضلان:

"على أن الحنطة والشعير كثير . كلّ من زرع شيئا أخذه لنفسه , ليس للملك فيه حق غير إنهم يؤدون إليه في كلّ سنة من كلّ بيت جلد سّمور. وإذا أمر سريّة بالغارة على البلدان فغنمت كان له معهم حصّة . ولابد لكلّ من يعترس أو دعوة من زلة للملك على قدر الوليمة وساخرخ من نبيذ العسل, وحنطة ردية , لأنّ أرضهم سوداء "[2]

يجذب نظر المبعوث خلال زيارته إلى بعض الشعوب حالتهم الإقتصادية ,وهذا ما يرده إبن فضلان قائلا:

"...وإذا هم محلّقو اللّحى , فقراء , خلاف الغزيّة من يملك عشرة ألاف دابّةومائة ألف رأس من الغنم . وأكثر ما ترعى من الغنم ما بين الثلج تبحث بأظلافها تطلب الحشيش.""[3]

"وكل إمرأة منهم فعلى ثديها حقة مشدودة إما من حديد وإمّا من فضة , وإما نحاس , امّاذهب . على قدر مال زوجها ومقداره. وفي كل حقّة حلقة فيها سكّين مشدودة على الثدي ؟أيضا .وفي أعناقهنّ أطواق من ذهب وفضة , لأن الرجل إذا ملك عشرة ألاف درهم , صاغ لأمراته طوقا , وإن ملك عشرين ألف صاغ لها طوقين , وكذلك كلّ عشرة ألاف يزدادها يزداد طوقا لأمراته فربّما كان في عنق الواحد منهن الأطواق الكثيرة."[4]

ثانيا:الحياة السياسية:

تعرض إبن فضلان إلى وصف الملوك والسلاطين تلك المناطق التي زارها وكذلك جيوشها فقدما

[1] ينظر مرجع نفسه ص110

[2] رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ص129

[3] ينظر مرجع نفسه ص106

[4] ينظر مرجع نفسه ص150

وصفا دقيقا عن ذلك إذ نجده يتكلم قائلا:

وكل من من يخلف رئي((وملك الغزيّة : يقال له: يبغو وهو إسم الأمير سا منهم يقال ملك هذه القبيلة فبهذا الإسم يسمى , ويقال لخليفته كوذركين , وكذا كلّ له:كوذكرين))

ثمّ نزلنا بعد إرتحلنا من ناحية هؤلاء بصاحب جيشهم , ويقال له : أترك بن القطغان , فضرب لنا قبابا تركية , وأنزلنا فيها وإذا له ضبنة وحاشية , وبيوت كبيرة . وساق إلينا غنما , وقاد دوابّ, لنذبح الغنم ونركب الدواب, ودعا هو جماعة من أهل بيته وبنى عمه فقتل لهم غنما كثيرة .))[1]

يواصل حديثه أو وصفه لطريقة إستقبال الملوك له , إذ يقول عن ملك الصقالبة :

((فلمّا كنّا من ملك الصّقالبة وهو الذي قصدنا له مسيرة يوم وليلة , وجّه لإستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده وإخوته وأولاده , فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاورس وساروا معنا فلمّا صرنا منه على فرسخين تلقّانا هو بنفسه , فلما رأنا نزل فخرّ ساجدا شكر الله عز وجلّوكان في كمّه دراهم فنثرها علينا , ونصب لنا قبابا فنزلناها.)) [2]

وأمّا رسم ملك الروس يقول:

((ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجلمن صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده , فهم يموتون بموته ويقتلون دونه. ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه , وتصنع له ما يأكل ويشرب , وجارية أخرى يطؤها..., ولايتزل عن سريره فإذا أراد قضاء حاجة قضاها في طشت. وإذا أراد الركوب قدموا دابته إلى السرير فركبها منه . وإذا أراد التزول قدّم دابّته حتى يكون نزوله عليه . وله خليفة يسوس الجيوش , ويواقع الأعداء ويخلفه في رعيته.))[3]

أمّا عن ملك الخزر فيقول:

---

[1] رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ص101

[2] مرجع نفسه ص113

[3] مرجع نفسه ص165

((فأما ملك الخزر , وإسمه خاقان , فإنّه لا يظهرالا في كل أربعة أشهر متترها , ويقال له خاقان الكبير, ويقال لخليفته خاقان به, وهو الذي يقود الجيوش ويسوسها ويدبّر أمر المملكة ويقوم بها ويظهر ويغزو. وله تذمن الملوك الذين يصابونه.))[1]

ومن رسمه أيضا يقول"

((إن الملك الأكبر أن لا يجلس للناس , ولا يكلمهم , ولا يدخل عليه أحد غير من ذكرنا..., وإنه إذا مات يبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتا , ويحفر له في كلّبيت منه قبر , وتكسّر الحجارة حتى تصير مثل الكحل وتفرش فيه , وتطرح النورة فوق ذلك . وتحت الدار نهر, والنهر كبير يجري , ويجعلون القبر فوق ذلك النّهر .)[2]

ومن رسمه أيضا:

((في ورسم ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون إمرأة , وكلّ إمرأة منهن إبنة ملك من ملوك الذين يحاذونه يأخذ ها طوعا أو كرها . وله من الجواري السراري لفراشه ستّون , ما منهن الفائقة الجمال . وكلّ واحدة من الحرائر والسراري قصر مفرد, لها قبة مغشّاة بالسّياج , وحول كلقبه مضرب ولكل واحدة منهن خادم يحجبها.))[3]

ومن رسمه أيضا:

((وإذا ركب هذا ركب هذا الملك الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه, ويكون بينه وبين **إلى** ذلك الغلام المواكب ميل , فلا يراه أحد من رعيته الاّ خرّ لوجه ساجدا له ومدّة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوما واحدا قتلته الرعية وخاصتيه , وقالوا : هذا قد نقص عقله وإضطرب رأيه. وللملك الخزر مدينة عظيمة على نهر إتل , وهي جانبان .في أحد الجانبين المسلمون . وفي الجانب الاخر الملك

[1] مرجع نفسه ص169

رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزرص170

[3] ينظر مرجع نفسه ص171

أصحابه . وعلى المسلمين رجل من غلمان الملك يقال له خز , وهو مسلم وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة المسلم لا ينظر في أمورهم ولايقي بينهم غيره.))[1]

وبعد ما قدما وصفا للملوك نجده يتعرض لذكر العلاقات القائمة بين تلك المناطق كما نجده يتطرق إلى حال الرعية قائلا:

يتحدث عن البجناك وهم قبيلة تركية غزية , طردهم الغزّ أمامهم قائلا:

ثم صرنا إلى بنجاك وإذا هم نزول على ماء شبيه بالبحر غير جار وإذا هم سمر شديدو السّمرة وإذا هم محلّقو اللّحى ,فقراء خلاف الغزية من يملك عشرة الافدابّة ومائة ألف رأس من الغنم.[2]

ويشير إلى علاقة التبعية التي تربط البلغار بجرانهم الخزر , وإذيضطر ملك الصقالبة إلى دفع ضريبة

يقول عن ذلك:

((وعلى ملك الصّقالبة ضريبة يؤديها إلى ملك الخزر من كل بيت في مملكته جلد سّمور وإذا قدمت السّفينة من بلد الخزر إلى بلد الصّقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها , وأخذ من جميع ذلك العشر . وإذا قدم الرّوس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك أن يختار من كلّ عشرة رؤس رأسا. وإبن الملك رهينة عند ملك الخزر . وقد كان إتصل بملك الخزر عن إبنه ملك الصّقالبة جمال فوجه يخطبها , فإحتجّ عليه, ورده , فبعث وأخذها غصبا , وهو يهوديّ , وهي مسلمة, فماتت عنده , فوجّه يطلب بنتا له أخرى . فساعة إتصل ذلك بملك الصقالبة وإنما دعا ملك الصقالبة أن يكاتب السلطان ويسأله أن يبنى له حصنا خوفا من ملك بادر فزوجها الملك لسكل , وهو من تحت يده خيفة أن يغتصبه إياها كما فعل بأختها . الخزر.))[3]

ويشير إلى بسالة جيوشهم قائلا:

---

[1] مرجع نفسه ص176

[2] رسالة ابن فضلان الى بلاد الروس والصقالبة والخزر ص106

[3] مرجع نفسه ص145

((وإذا بعث سرية لم تولّى لدّبر بوجه ولا سبب ,فإن إنهزمت قتل كل من ينصرف إليه منها . فأما القوّاد وخليفته فمتى إنهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم وهم ينظرون . كذلك دوابّهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم , وربما قطع كلّ واحد منهم قطعتين وصلبهم , وربما علّقهم بأعناقهم في الشجر , وربما جعلّهم إذا أحسن اليهم ساء.))[1]

– نلاحظ ومن خلال ما تقدم أن إبن فضلان قدم لنا وصفا دقيقا للحالة الإقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في تلك الفترة وكيف كانت العلاقة قائمة بين السلاطين أو الحكام ورعية كانت علاقة إحترام وتقدير عند البعض أما البعض الاخر كان فيها نوعا من الإستبداد والظلم.

[1] مرجع نفسه ص176

الفصل الثالث :رحلة ابن خلدون ودورها في الاتصال بين الشعوب والحضارات

المبحث الأول: نبذة عن الرحالة ورحلته

نبذة عن ابن خلدون:

ولد عبد الرحمان ابن خلدون في سنة (732ه 1332م),ووجهه أبوه طلب العلم منذ صباه المبكر, فحضر مجالس علماء تونس الذين كان منهم كثيرون من مهاجرين الأندلس, حيث تعلم وحفظ القران وهو يافع على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد , ودرس العربية على يد أبيه وعلى يد عدد اخر من العلماء والمشايخ منهم عبد الله محمد بن العربي الحصاري, وعبد الله محمد بن الشواش الزر زالي, وقرأ الحديث على الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر ,وأخذ الفقه عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي الذي أخذ عنه المنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية ,حيث لازمه ابن خلدون لمدة ثلاث سنوات بعد وفاة والديه في 749ه في الطاعون الجارف الذي عم بلاد العام أنداك ,كما واصل عبد الرحمان ابن خلدون حضوره مجالس العلم على يد نخبة من كبار الأساتذة الذين رافقوا السلطان المغربي أبا الحسن المريني في غزوته لتونس في سنة 748ه وحينما عاد الكثيرون من هؤلاء. إلى المغرب قرر عبد الرحمان أن يلحق بهم لكي يستكمل تكوينه العلمي.[1]

وقد بدأ ابن خلدون حياته العلمية مبكرا, فقد عمل وهو في تونس مع محمد بن تا فراكلين حاكمها في عام 752ككتاب للعلامة والمسؤول عن وضع توقيع وختم السلطان على المراسيم التي يصدرها ,وهو في نحو العشرين من عمره ,هكذا جمع بين طلب العلم والإشتغال بالسياسة .وفي فاس استدعاه السلطان المريني أبو عنان فارس لكي يتولى الكتابة له, فعمل في خدمته مدة منذ اخر سنة 756ه حيث ضمه السلطان إلى هيئة علمائه التي تبحث في المسائل الدينية والنحوية بحضرة السلطان عينه بعد ذلك أمينا لشؤنه ,وإشتغل ابن خلدون وجوده في فاس في النظر والقراءة والتعلم من **كبار** الشيوخ والعلماء من أهل المغرب والأندلس الوافدين على فاس بغرض السفارة أو الزيارة.[2]

ينظر إسماعيل سراج الدين, ابن خلدون مفكر متجدد, الإسكندرية ,2008,ص12

[2] مرجع نفسه ,ص14

رحلته:

في أوائل عام(753[1])ه ,طلع ابن خلدون في ركب تافراكين وإلى تونس الذي كان وزيرا للفضل بن يحي الحفصي سلطان تونس ,وانتزع منه العرش إلاّ أن حفيد السلطان زحف في ذلك العام لمحاولة استرداد عرش جده, وأنزل الهزيمة بابن تافركين ففر ابن خلدون من المعسكر, ومضى هائما في البلاد حتى وصل إلى إحدى مدن الجزائر ثم انتقل إلى فاس عام 755ه وتقرب من السلطان أبي عنان ,إلى أن أصبح ضمن كتابه وعضوا بالمجلس العلمي, وعن هذا يقول ابن خلدون:

((فإنا لما خرجنا من تونس ,نزلنا بلاد هواة ,وزحفت العساكر بعضها إلى بعض بفحص مماجنة, وانهزم صفنا ,ونجوت أنا إلى أبه ,فأقمت بها عند الشيخ عبد الرحمان الو شتاني, من كبراء المرابطين ,ثم تحولت إلى تبسّة ,ونزلت بها على محمد بن عبدون, صاحبها ,فأقمت عنده ليالي حتى هيالي الطريق.))[1]

ثم ترى ابن خلدون يواصل سيره حتى يصل إلى بسكرة فيقول:

((وارتحلت أنا من بسكرة ,وافدا على السلطان أبي عنان بتلمساني ,فلقيت أبي عمرو بالبطحاء .وتلقاني من الكرامة بما لم أحتسبه وزدني إلى بجاية ,فشهدت الفتح ,وتساءلت وفود إفريقية إليه فلمّا رجع وفدت معهم ,فتا لني من الكرامة وإحسانه ما لم أحتسبه إذ كنت شابا لم يطر شاربي ,ثم انصرفت مع الوفود ,ورجع ابن عمي عمروا إلى بجاية فأقمت عنده حتى انصرم الشتاء من أواخر أربع وخمسين.))[2]

((وعاد ذكرى عنده ,وهو السّلطان أبو عنان إلى فاس ,وجمع أهل العلم لتحليق بمجلسه ,وجرى يتنقى طلبة العلم للمذاكرة في ذلك المجلس, فأخبره الذين لقيتهم بتونس عني ,ووصفوني له, فكتب إلى الحاجب يستقدمني ,فقدمت عليه ,سنة خمس وخمسين ,ونظمني في أهل مجلسه العلمي , وألزمني

[1] ينظر عبد الرحمان ابن خلدون ,التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ,الكتاب اللبناني,1979,ص56

[2] مرجع نفسه , ص56

شهود الصلوات معه, ثم استعملني في كتابته ,والتوقيع بيت يديه, على كره مني ,إذ كنت لم أعهد سلفي وعكفت على النّظّر ,والقراءة ,ولقاء المشّيخة ,من أهل المغرب ,من أهل الأندلس الوافدين في غرض السّفارة ,وحصلت من الإفادة منهم على البغية.))[1]

ويتيح له ينعم بكرم السلطان أن يعود إلى القراءة والدرس , إلاّ أن طموحاته السياسية التي لا تكف عن النبض والحركة دفعته لاشتراك في من مرأة لصالح أحد الأمراء الحفصين الما سورين , ولما علم أبو عنان , أمر بإيداع ابن خلدون غيابة السجن فلزمه سنتين ,و لم يطلق سراحه الواحد أبي عنان وما أن رأى النور حتى شرع يتقرب إلى الجديد نحو عام ,ثم ما لبث أن توطأ مع أعدائه وتا مر ففر له السلطان ,ومن ثم أسرع ابن خلدون يصغى طالبا العفو ,فيعفى عنه ويتولى المناصب اللائقة به, وسرعان ما يطمح إلى ما فوقها , ولا يجد سبيلا إلى ذلك غير التآمر إلى أن يمل هم نفسه هذه الحال, ويقرر الارتحال إلى غرناطة بالأندلس , حيث قصدها اوائل عام 764ه, يقول ابن خلدون:

((ولّما أجمعت الرحلة إلى الأندلس , بعثت بأهلي وولدي إلى أخوالهم بقسنطينة وكتبت لهم إلى صاحبها السّلطان أبو العبّاس , من حفدة السّلطان أبي يحي وني أمر الأندلس وأحيز إليه من هناك , وسرت إلى سبتة قرضه المجاز ,وكبيرهم يومئذ العباس الشريف أبو العبّاس أحمد بن الشريف الحسني ذو النسب الواضح , ولما مرت به سنة أربع وستين أنزلني ببيته إزاء المسجد الجامع, وبلوت منه ما لا يقدر مثله من ملوك وأركبني الحرّاقة ليلة سفري يباشر دحرجتها إلى الماء بيده , إغرابا في الفضل والمساهمة ....وهو يومئذ لصاحب المغرب ثم خرجت منه إلى غرناطة وكتبت إلى السّلطان ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب بشأني ,وليلة بت بقرب غرناطة على بريد منها ثامن ربيع الأول عام أربعة وستين , وقد اهتز السّلطان لقد وهي ,وهيألي المترل من قصوره, بفرشه وما عونه , وأركب خاصّته للقائي ,تحيفا وبرا ومجازاة بالحسن ثم دخلت عليه فقابلني بما يناسب ذلك وخلّع علي وانصرفت وخرج الوزير ابن خطيب فشيعني إلى مكان نزلي ,ثم نظمني في علية أهل مجلسه واحتضني بالنّجي في خلوته ومواكبة في ركوبه والمواكلة والمائية والفكاهة في خلوات أنسه, وأقمت على ذلك

[1] ينظر, التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا, ص85

عنده ,وسفرت عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية ملك قشتالة يومئذ, لإتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك القدوة بهدية فاخرة, فلقيت الطاغية بإشبيلية وعاينت أثار سلفي بها , وعاملني من الكرامة بما لا مزيد عليه وأظهر الاغتباط بمكاني وعلم أولية سلفنا بإشبيلية ...., فطلب الطاغية مني حينئذ المقام عنده وأن برّد علي تراث سلفي بإشبيلية وكان بيد زعماء دولته فتفاديت من ذلك بما قبله ,ولم يزل على اغتباطه إلى أن انصرفت عنه ,فزوّدني وحملني واحتضني ببغلة فارهة ,بمركب ثقيل ولجام بذهبين أهديتهما الى السلطان فاقطعني قرية البيرة من أراضي السّقي بمرج غرنا طبة .[1]

وهكذا نرى ابن خلدون , قد نجح نجاحا بالغا في هذه المصالحة , ثم عاد إلى السلطان بعد ما زود بهدية سنية.

((ثم حضرت المولد النّبويّ لخامسة قدومي , وكان يحتفل في الصنيع , فيها والدّعوة , إنشاد الشعراء اقتداء ملوك المغرب.))[2]

ولما أطمان ابن خلدون إلى حياة الجديدة , أرسل إلى أهله وأولاده يستقدمهم ليعيشوا معه حياته الناعمة المستقرة. وبعد الهدوء البال واستقرار الحياة وصفاء العيش , أبت السّعايات إلا أن تكدره هذا الصفاء , فشعر إبن خلدون بتالب الوزير الخطيب عليه, وشم منه رائحة الإنقباض , ونتركه يحدثنا عن ذلك:

((ثم لم يلبث الأعداء وأهل السّعايات أن خيّلوا الوزير إبن الخطيب من ملابستي السّلطان وإشتماله على وحركوا له جواد الغيرة فتنكر. وشممت منه رائحة الإنقباض مع إستبداده...وركبت البحر من ساحل المرية منتصف ست وستين, ونزلت بجاية لخامسة من الإقلاع فإحتل السّلطان صاحب بجاية لقدومي, وأكب أهل دولته للقائي وتهافت أهل البلد عليّ من كل أوب يمسحون أعطافي ويقبّلون يديّ وكان يوما مشهودا ثم وصلت إلى السّلطان أهل الدولة بمباكره بابي وإستقللت بحمل ملكه

[1] ينظر التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا,ص87

[2] مرجع نفسه ص90

وإستفرغت جهدي في سيا سبة أموره وتدبير سلطانه , وقدّمني للخطابة بجامع القصبة ,وأنا مع ذلك عاكف بعد إنصرافي [1]من تدبر الملك بالدولة , وتحكمه في سائر الأحوال وجاءتني كتب السّلطان أبي عبد الله صاحب بجاية, بأنّه إستولى عليها في رمضان خمس وستين وإستدعاني إليه ,فأستا ذنت السّلطان إبن الأحمر في الإرتحال إليه وعميّت عليه شأن إبن الخطيب إبقاء لمودته فإرتمض لذلك و لم يسعه إلا الإسعاف فودّع وزود.))[1]

وهكذا يرحل إبن خلدون من الأندلس إلى بجاية ,فيركب البحر حتى يصل إليها, ويحتفل السلطان أبو عبد الله بقدوم إبن خلدون ,ويركب أهل دولته للقائه ثم يخضع عليه السلطان .ويفوضه في أمر مملكته ,ثم يقدمه خطيبا بجامع القصبة, وسبب هذا الإختفاء يرجع إلى أن أبا عبد الله كانت تربطه بإبن خلدون صداقة قديمة ,ولما كان في سجن أبي عنان كان إبن خلدون يرعاه ويقدم له المساعدة , وبعد ذلك إتفق معه للتآمر ضدا إبن عنان, فمن الوفاء أن نجد السلطان أبا عبد الله يستقبل إبن خلدون هذا الإستقبال وقد تحدث إبن خلدون عن هذه الرحلة فقال:

((وبعد أن إستقر به الحال هانئا منعما في فيض كرم أميرها ,شاغلا أرقى مناصب الدولة والعلم ,دارت عجلة الحوادث والمنازعات السياسية التي لا تعرف التوفق ولا الثبات وأدلى فيها كعادته بدلوه ,فطرته وهدمت عشه فما لبث إذا نطلق لي بسكرة في المغرب الأوسط ,وتنقل بينها وبين تلمسان وفاس وبجاية كلما سقطت واحدة في يد أصحابه سعى إليها ,علة يجد في أحضان ملكها ما يبتغي ولكنه ما أن يبلغها حتى تنتقل إلى يد أعدائه فيهرب ويقبض عليه ويسجن حينا ,ثم يطلق بعد الإعتذار وإبداء الندم على ما بدر منه. يتولى أعلى المناصب حينا وفجأة تتغير الظروف ,فإذا هو في غيابة السجن, ولما رأى إبن خلدون بعد خروجه من اخر سجونه أن أبواب المغرب كلها قد سدت في وجهه, وأنه أصبح شخصا لا يقبله إمراؤها , ترك أسرته بفاس ورحل إلى الأندلس في ربيع 776ه حيث نزل على ضيافة السلطان إبن الأحمر.))[2]

[1] ينظر التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ص91

[2] مرجع نفسه,ص98

يقول إبن خلدون:

((وافيتهم بالرسوة فحيا وفادتي وبر مقدمي ,بالغ في تأنيسي وشاورني في مهمات أموره ثم ردني إلى تونس وأوعز إلى نائبه بها, مولاه فارح بتهيئة المترل والكفاية في الجراية والعلوفة وجزيل الإحسان , فرجعت إلى تونس في شعبان من السنة وأويت إلى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمته ,وبعثت من الأهل والولد, وجمعت شملهم في مرعى تلك النعمة وألقيت عصا التسيار.))[1]

رفض إبن خلدون مرافقة السلطان أبو العباس في حملته الحربية وفضل ذهاب للقضاء فريضة الحج وركب البحر سنة 784ه-أكتوبر 1382م ,ولكنه لم يمضي إلى مكة بل توقف في مصر.

يقول إبن خلدون:

((فإنتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة ,فرأية حاضرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الأمم من البشر وإيوان الإسلام وكرسي الملك تلوح القصور و الأواوين في جوه ,وتزهر الخوانك والمدارس بأفاقه ,وتضيء البدور والكواكب من علمائه , قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء ,يسقيهم النهل والعلل سيحه ,ويجيء إليهم الثمرات والخيرات ثجة ,ومررت في سلك المدينة تغص بزحام المارة ,وأسواقها تزخر بالنعم ,مازلنا نحدث عن هذا البلد وبعده مداه في العمران وإتساع الأحوال .))[2]

وفي مصر يحتل مكانة مرموقة برعاية السلطان المملوكي ,برقوق ويشتغل منصب قاضي قضاة الملكية ويدرس الفقه, ويرضى عن الأحوال في مصر ويبعث في طلب أسرته, لكن إلا المحتوم يلقاها في عرض البحر ويجزع إبن خلدون أشد الجزع لذلك ...ويزهد في كل شيء ويقرر أداء مناسك الحج يتكلم عن ذلك:

((خرجت إلى القاهرة منتصف رمضان سنة تسع وثمانين إلى مرسى الطور بالجانب الشرقي من بحر السويس, وركبت البحر من هناك عاشر الفطر, ووصلنا إلى الينبوع لشهر فوافينا المحمول, ورافقتهم

[1] ينظر التعريف بابن خلدون ورحلته شرفا وغربا,ص231

[2] مرجع نفسه ص 233

من هناك إلى مكة ,ودخلتها ثاني ذي الحجة فقضيت الفريضة من هذه السنة ,ثم عدت إلى الينابيع فأقمت به خمسين ليلة حتى تهيأ لنا ركوب البحر ,ثم سافرنا إلى أن قاربنا مرسى الطور ,فإعترضنا الرياح ,فما وسعنا إلا قطع البحر الى جانبه الغربي ونزلنا بساحل القيصر ثم بذرقنا مع أعراب تلك الناحية, المدينة قوص, قاعدة الصعيد, فأرحنا بها أياما, ثم ركبنا بحر النيل إلى مصر ,فوصلنا إليها الشهر من سفرنا ودخلتها في جمادى سنة تسعين, وقضيت حق السلطان في لقائه ,أعلامه, بما إجتهدت فيه ,من الدعاء له فتقبل ذلك مني ,بقبول حسن, وأقمت فيما عهدت من رعايته, وظل إحسانه)).[1]

وهذه المرة نجد راحلتنا يطوف بنا بلاد فلسطين قائلا:

((وصلت إلى القدس ودخلت المسجد ,وتبركت بزيارته والصلاة فيه وتغففت عن الدخول إلى القمامة كنيسة القيامة لما فيها من الإشادة بتكذيب القران, أزهو بناء امم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم, فنكرته نفسي ونكرت الدخول اليه وقضيت من سنن الزيارة ونا فلتها ما يجب ,وانصرفت الى مدفن الخليل عليه السلام, ومررت في طريقي اليه بيت لحم وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح , شيدت القياصرة عليه بناء بسماطين من العمد الصخور, منجدة مصطفة, مرموقا على رؤوسها صور ملوك القياصرة وتواريخ دولهم .))[2]

-كانت اخر رحلات إبن خلدون مع السلطان الناصر عام 803-1400م,عندما إنقض تيمور لنك القائد التتر بجيوشه إلى الشام ففزع السلطان فرج وأسرع بجيوشه لصد هجوم وأخذ معه إبن خلدون واخرون .يقول إبن خلدون عن عودته من مصر بائسا:

((وسافرت مع جمع من أصحابي فإ عترضنا جماعة من العشير , قطعوا علينا الطريق ,ونهبوا ما معنا ونجونا ألى قرية هناك عرايا وإتصلنا بعد يومين أو ثلاثة بالصبية فخلفنا بعض الملبوس وأجزنا الى صفد فأقمنا بها أيّاما ,ثم مربنا مركب من مراكب إبن عنان سلطان بلاد الروم ,فركبت معهم البحر إلى

[1] ينظر التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا,ص262

[2] مرجع نفسه,ص 350

غزة ونزلت بها, وسافرت منها إلى مصر فوصلتنا في شعبان من هذه السنة , وهي ثلاث وثما نمائة.))

المبحث الثاني: الجانب الاقتصادي

يشكل الجانب الإقتصادي أهم الجوانب في التواصل بين الشعوب والبلدان وهو أساس الذي تقوم عليه الدولة وذلك من خلال تبادل التجاري الحاصل بينهم , وهذا ما تنا وله الرحالة أثناء رحلاتهم. إذ يقول إبن خلدون:

((إن السلطان المريني يعقوب المريني عندما هاجم مدينة سلجماسة سنة 672 نصب عليها همذان ألة النفط القاذف بحص الحديد ينبعث من خزانة أما م النار الموقدة في البارود بطبيعة غربية ترد الأفعال إلى فترة باريها .))[1]

كما لم يغفل على إبراز دور المنشآت العمرانية التي كانت سائدة في المشرق والمغرب ,لأ نه أمر رافق الفتوحات الإسلامية لتكون تلك المراكز العمرانيّة مراكز إشعاع حضاري فالبناء من مستلزمات المدينة والتحضر. يقول إبن خلدون:

((فالإطار تتفاوت بتفاوت العمران , فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل.))[2]

-كذلك يقول إبن خلدون عن براعة اليهود والنصارى في فن العمارة وبعض الصناعات:

((بأنّه إنصرف إلى مدفن الخليل عليه السّلام ,ومرّ في طريقه إليه لحم بيت لحم وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح , شيّدت القياصرة عليه بناء بسما طين من العمدة الصخور , منجدة مصطفة , مرقوما على رؤوسها صور ملوك القياصرة ,وتواريخ دولهم , ميسّرة لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتراجم

[1] ينظر التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ,ص,291

[2] ينظر,عبد الرحمان بن خلدون ولي الدين,مقدمة ابن خلدون,يعرب,732-808م,ج1,ص662

العارفين لأوضاعها ,ولقد يشهد هذا المصنع بعظم ملك القياصرة وضخامة دولتهم)).[1]

أمّا إبن خلدون ,فيشير إلى دور التبادل التّجاري , لا سيّما عن طريق مصر , حيث يقول (ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر ,فهي العالم , إيوان الإسلام ,وينبوع العلم والصنائع.)

المبحث الثالث:ا لحياة السياسية:

كشفت سفارة إبن خلدون عن دور اليهود والنصارى, الذين يعملون في قصور الأندلسيّين والمغاربة والأوربيين , وتقربّهم إلى السلاطين ليكونوا من خواص رجالات الدّولة ,ومنهم الطيبب اليهوديّ إبراهيم بن زرزر, كما وصف إبن خلدون الهدايا التي حملها إلى ملك قشتالة من السلطان الغنيّ بالله وما حمّله ملك قشتالة من هدايا للسلطان الغنيّ بالله ولإبن خلدون .كما أنّ سفارة إبن خلدون كشفت عن دور بعض العناصر اليهوديّة والمسيحية الذي يتنقلون للعمل في قصور الأندلسين وقصور الأوربين في التقريب بين الطرفين ,وتعرف كلّ منها بثقافة الاخر ويصف إبن خلدون أيضا إنتظامه في مجلس أبي عنان , وحصوله على الفائدة من السفراء ,حيث يقول :وعكفت على النظر ,والقراءة ,ولقاء المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الأندلس الوافدين في غرض السفارة وحصلت على الإفادة منهم.)[2]

[1] ينظر مرجع سبق ذكره التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا,ص299

[2] عبد الرحمان محمد ابن خلدون تاريخ ابن خلدون بيت الأفكار ص146

المبحث الرابع :الحياة الثقافي:

قد تولى إبن خلدون مثلا, كان قد درّس في المدرسة القمحيّة ,بجوار جامع عمروا بن العاص ,وهي أجمل مدارس الفقهاء المالكيّة بديار مصر.[1]

-أمّا إبن خلدون, فقد عرض بعض قدراته الأدبيّة في النماذج الشعريّة التي أوردها في رحلته بمناسبات مختلفة ,ومن شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

إنّي دعوتك واثقا إنّي بإجابتي ياخير مدعو وخير مجيب

قصرت في مدحي فان يك طيبا فبما لذكرك من أريج الطيب [2]

وقد زودت رحلة إبن خلدون الأدب بصورة عن سمات الكتابة في عصره ,وذلك من خلال إيراد لبعض المكتابات والمراسلات النثرية والشعرية ,بينه وبين إبن الخطيب .ومنها ما قاله إبن خطيب مبتهجا بقدوم إبن الخطيب إلى غرناطة:

حللت حلول الغيث بالبلد المحل على الطائر الميمون والرّحب والسّهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه من الشيخ والطفل المهدا والكهل

لقد نشأت عندي للقيك غبطة تنسي إغتباطي بالشّبيبة والأهل

[1] ينظر التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا,ص291

[2] مرجع نفسه ,ص116

وودّي لا يحتاج فيه لشاهد وتقريري المعلوم ضربّ من الجهل

أقسمت بمن حجّت قريش لبيته, وقبر صرفت أزمّة الأحياء لميته, ونور ضربت الأمثال بمشكاته وزيته ,لو خيرت أيّها الحبيب الذي زيارته الأمنية السنيّة بين رجع الشباب يقطر **ماء** ,ويرف نماء.[1]

-كما نجد إبن خلدون يعرض بعض جوانب الإحتفالات والأعياد قائلا:

وقد رافق هذه الأعياد وغيرها من المناسبات والسّفارات ,تبادل الهدايا حيث كان الحكام الأندلس والمغرب والوزراء والأدباء يتبادلون الهدايا بينهم ,وبين الملوك الإفرنج أيضاإنّ عيد الفطر والأضحى وعيد مولد النبوي الشريف ,حيث أخذ بعض الرّحّالة ينظمون في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر معجزاته.[2]

-ومن خلال ما تقدم يتضح أن للعلم دورا بارزا في التواصل بين الشعوب والحضارات وذلك من خلال مجالس العلم التي كان يعقد الرحالة أثناء رحلاتهم, كذلك الحج يعد وسيلة من وسائل التواصل بين الشعوب والحضارات.

[1] مرجع نفسه,ص128

[2] التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا,ص116

خاتمة

وهاهو بحثنا قد انتهى بحمد الله وعونه, وقد خرجنا بمجموعة من الاستنتاجات

-بهذا تكون الرحلات قد رصدت تنّوع المعالم الحضّارية في مختلف الجوانب الحياتيّة في البلدان التي قصدها الرّحالة وعكست صورة واضحة عن أحوال الشعوب وعاداتها وتقاليدها.

.-وإن الرحلات تسمح لي رحالة بالتعرف على أخر وربط بينه عن طريق المصاهرة والتجارة وغيرها.

-يتضح من خلال رحلة ابن فضلان أ نه خبير ديني. ومتمسك بالدين الاسلامي.

- نجد ابن فضلان قدم لنا وصفا دقيقا لحضارة الشعوب التي زاراها.

-نقلت الرحلة ثقافة وحضارة شعوب إلى سائر أقطار العالم.

-لقد استطاع الرحالة العرب أمثال ابن فضلان وابن خلدون أن يبنوا علاقات بين الحضارات والشعوب متباعدة في الزمان و المكان سياسيا واجتماعيا.

-تعتبر الرحلة يشعر الأديب أنه يؤديها على وجه من الوجوه المحمودة, وهذه الرسالة مأخوذة من حياة الرحالة المجتمع الصغير الذي يعيش فيه.

-إن ابن خلدون قدم لنفسه تعريفا مفصلا عن أحداث حياته.

-إن حياة ابن خلدون كانت مضطربة اذ ارتبطت بكثير من الدويلات والحكام في الغرب والشرق.

-نجد ان ابن خلدون لم يهتم بذكر الحياة الاجتماعية بل ركز اهتمامه على الجانب السياسي .

-إن ابن خلدون من كبار أئمة البلد وأعلام البيان العربي ومن أبرز المجددين في أسلوب الكتابة العربية.

ـــإن أدب الرحلة يتداخل مع أجناس أدبية الأخرى.

-إن للرحلة دور هام في نقل ثقافة التواصل مع الأخر.

كما أرجوا من الذين صادفوا أو اطلعوا على موضوعنا ان يزيدوا في بحث فيه, وذكر ما لم نذكره .إن اصبت فمن الله ,وان اخطأت فمن نفسي والشيطان.

تم بتوفيق الله وعونه

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

الكتب:

1. -أحمد بن العباسين راشد الحمادى,أحمد ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة ,أبو ظبي1ط,2003م,ج1.
2. -إسماعيل سراج الدين,إبن خلدون إنجاز الفكر متجدد,الإسكندرية,2008.
3. -جما ل الدين فالح الكيلاني, الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي, دار الزنبقة,قاهرة-مصر,2014م.
4. -حسين محمد فهيم أدب الرحلات ,المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ,الكويت 1323ه_1990.
5. -حسين محمود ,أدب الرحلة عند العرب ,الأندلس,بيروت_لبنان,ط3, 1403ه-1995م .
6. -سامي الدين ,رسالة إبن فضلان في وصف بلاد الروس والخزر و الترك,ا لمجمع العربي,دمشق-سوريا,309-1991م.
7. -شعيب حليفي, الرحلة في الأدب العربي (أليات التجنس ,أليات الكتابة , خطاب المتخيل) العامة لقصور الثقافة,2002م
8. -شوقي ضيف ,الرحلات, الفنون والاداب,الكويت, 1995م
9. -عبد الرحمان ابن خلدون ولي الدين,مقدمة ابن خلدون.دار يعرب,732,808 .
10. -عبد الرحمان ابن خلدون التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ,الكتاب اللباني ,1997م.
11. -عبد الرحمان عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون.

12. -عماد الدين خليل ,من ادب الرحلات فيالادب العربي كلية الاداب,ط1 ,قاهرة –مصر, 1415ه-1995م.

13. -فؤاد قنديل, أدب الرحلة في التراث العربي, العربية للكتاب,القاهرة-مصر,ط1, ,1423ه-2002م.

14. -.ناصر عبد الرزاق الموافى, الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الربع هجري),كلية الاداب ط1,قاهرة- مصر,1415-1995م

15. -نوال الشوابكة, أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى(نهاية القرن التاسع الهجري),مأمون ,عمان,ط1,1428-2007م.1

الموسوعات:

1-محمد بن مسعود بن عبد الله ,موسوعة الرحلات, دار المعارف القاهرة-مصر,1428ه_2007م

المجلات:

2-عبد العليم محمد اسماعيل علي,أساس أدبية الرحلة جائزة الطيب صالح العالمية لإبداع الكتابي دورة ثامنة 2018م

3-شمس الدين الكيلاني صورة أوربا في رحلة ابن فضلان

فهرس

فهرس:

بسملة	
اهداء	
تشكر	
مقدمة	أ
المدخل:	04
الرحلة في اللغة	05
الرحلة في الاصطلاح	05
مسيرة الرحلة	06
الفصل الأول: تعريف بأدب الرحلات	10
مفهوم أدب الرحلات	10
اغراض	12
أنواع	12
أهمية	12
المبحث الثاني: أليات الكتابة في النص الرحلي	12
أولا –عتبات النص الرحلي:	13
العنوان في السرد	15
خطاب التقديم وتأطير النص	15
ثانيا– السرد وبنية الجملة:	15
مميزات وأنماط الجملة السردية في الرحلة	16
الإستراتيجية السردية	16
المبحث الثالث:الدراسة الفنية لأدب الرحلات	19
الأسلوب واللغة	19
الوصف	23
البناء الفنّي والسردي	23

الفصل الثاني: رحلة ابن فضلان ودورها في الاتصال بين الشعوب والحضارات	26
المبحث الاول: نبذة عن الرحالة ورحلته	26
المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية:	31
عادات الشعوب	31
الملبوسات	37
مراسيم دفن الميت	40
المبحث الثاني : الحياة الدينية	42
المبحث الثالث : الحياة الاقتصادية والسياسية	44
اولا: الحياة الاقتصادية	44
ثانيا: الحياة السياسية	45
الفصل الثالث: رحلة ابن خلدون ودورها في الاتصال بين الشعوب والحضارات	52
المبحث الأول: نبذة عن الرحالة ورحلته	52
المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية	60
المبحث الثالث: الحياة السياسية	61
المبحث الرابع: الحياة الثقافية	62
الخاتمة	63
قائمة المصادر والمراجع	

ملخص

ملخص مذكرة ماستر

عنوان المذكرة : أدب الرحلات وسيلة اتصال بين الشعوب والحضارات (ابن فظلان وابن خلدون أنموذج

اللقب : صيافة **الاسم** : زينب **المؤطر** : بن شاعة جلول

ملخص:

قامة الرحلة ابن فضلان وابن خلدون بدورهم في نقل حاضرات شعوب أخرى الى موطنهم وبلاد العربية كما ساعدت الرحلة على نشر تعاليم الدين الاسلامي.

الكلمات المفتاحية:

أدب الرحلات الاتصال وسيلة الشعوب الحضارات

Name: **zineb** **First Name** : **siafa zineb** **Directed by**: **ben chaa djaloul**

Résumé

Les voyages d'Ibn Fadlan et d'Ibn Khaldoun, qui ont ensuite transféré la présence d'autres peuples dans leur patrie et dans les pays arabes, ont également aidé le voyage à diffuser les enseignements de la religion islamique.

les mots clés:

Littérature trekking- communication signifie- civilisations peuples -peuples